السبق العلمي للنص القرآني
في إظهار حقائق الكون
"علم الفلك أنموذجا"

إعداد

محمود أحمد رجب عثمان

مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين بالقاهرة

١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م

السبق العلمي للنص القرآني في إظهار حقائق الكون "علم الفلك أنموذجا"

محمود أحمد رجب عثمان

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين بالقاهرة، مصر.

الملخص:

هذا البحث محاولة أكاديمية هادفة تسعى لتسليط الضوء على ومضات علمية من فيض عطاءات الآيات القرآنية في أروقة علم الفلك، وبيان مدى السبق العلمي للنص القرآني، والكشف عن البراعة الدعوية للفظ القرآني في عرض الحقائق العلمية بما لا يصادم العقول البشرية وقت خطابها ولا يكذب اليقينات المعرفية أيان كشفها، باختيار أنسب الألفاظ الجامعة وأكمل القوالب اللغوية الشاملة؛ بما يؤكد على أن خالق الأكوان هو الموحي بالسنة والقرآن.

وقد تجلت تلك العطاءات العلمية للنص القرآني بصورة واضحة في أروقة علم الفك الحديث؛ بما يثبت للعالمين الأهمية العظمى للمعارف العلمية المستنبطة من فيض تعبيرات النصوص القرآنية، الجامعة في مبانيها اللغوية والمعجزة في سبقها العلمي، والمناسبة في لغة خطابها، وعمق إشاراتها، وشمول هديها، وهذا بدوره يؤكد على عالمية النص القرآني وقدرته المعجزة على مخاطبة أجيال البشرية المتعاقبة بلغة زمانها، ومراعاتها لمستوى ثقافتها وفكرها، وإن تجلى تلك العطاءات المعرفية في ميادين العلوم لهو خير برهان واقعي على خلود الرسالة الخاتمة بخلود لغة تبليغها، وتجدد فيوضات أصولها، ودوام عطائاتها، وهذا ما حاول البحث بيانه وتفصيله.

الكلمات المفتاحية: السبق العلمي – النص القرآني – إظهار حقائق الكون –علم الفلك .

The scientific precedence of the Qur'anic text in showing the facts of the universe "astronomy as a model"

Mahmoud Ahmed Rjb Othman
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion, Cairo, Egypt.

Abstract:

This research is a purposeful academic attempt that seeks to shed light on scientific flashes of the abundance of Quranic verses in the corridors of astronomy, and to indicate the extent of scientific precedence of the Qur'anic text, and to reveal the advocacy ingenuity of the Qur'anic word in presenting scientific facts in a way that does not clash with human minds at the time of their speech and does not lie cognitive certainties that reveal them, by choosing the most appropriate words and completing the comprehensive linguistic templates, which confirms that the creator of the universes is the one who inspired the Sunnah and the Qur'an.

These scientific contributions to the Qur'anic text were clearly manifested in the corridors of modern astronomy, proving to the worlds the great importance.

For the scientific knowledge deduced from the abundance of expressions of Quranic texts, the university in its linguistic buildings and the miracle in its scientific precedent, and the occasion in the language of its speech, the depth of its signs, and the comprehensiveness of its guidance, and this in turn confirms the universality of the Qur'anic text and its miraculous ability to address successive generations of humanity in the language of their time, and their observance of the level of their culture and thought, The manifestation of these cognitive bids in the fields of science is the best realistic proof of

the immortality of the final message with the immortality of the language of its communication, the renewal of the flows of its origins, and the permanence of its gifts, and this is what the research tried to explain and elaborate.

Keywords: scientific scoop - Quranic text - showing the facts of the universe - astronomy.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأودع فيه من كنوز العلوم وحقائقها مالم يحط بأسراره بشرا، وصلاة وسلاماً على أعظم العالمين قدرا، وعلى آل وصحبه ومن اقتفى له أثرا، وبعد:

فلقد نزل الذكر الحكيم لهداية البشرية للتي هي أقوم في مختلف مجالاتها، والوصول بها إلى الكمال المنشود في موازين أخلاقها، وتحقيق معالم الحضارة في ألوان أنشطها، سمواً بفكرها وتحريراً لعقلها وتقدماً بمجامع علومها، وذلك بما فاض من معينه الإلهي من معارج معارفها، وما سطره في بطونه من حقائق وجودها، في سياق معجز من التعبيرات اللغوية المتفردة، البارزة في قوالب لفظية جامعة، تثبت للبشرية على اختلاف أجيالها، وتباين أمكنتها، وتعدد ثقافتها وتقدم علومها، بأن القرآن الكريم هو أصل الحقائق وأساسها، ومنتهى يقينيات العلوم وسندها، فلا يبلى جديده، ولا ينفد معينه، ولا يتوقف رافده، ولا تنتهي ذخائره، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، مصداقاً لقوله صلى الله على وسلم: (فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى

الرُّشْدِ}[١] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٢].

وإن من فيض هذا المعين الإلهي المنزل–القرآن الكريم– ما تفرد به من تعبيرات لغوية دقيقة وقوالب لفظية محكمة تشير إلى حقائق علمية قاطعة وتحوي مثبتات معرفية صادقة وصلت إليها العلوم التجريبية والمعارف التطبيقية في علوم الكون والحياة بعد حقب زمنية طويلة وارتقاءات علمية متعاقبة؛ بما يؤكد على أن منزل الكتاب المسطور هو مبدع الكتاب المنظور، وأن مسخر السحاب هو الموحي بالسنة والكتاب.

وفي هذا البحث إطلالة علمية بحثية ذات أبعاد دعوية إيمانية؛ أحاول فيها– إن شاء الله– جاهداً تجلية بعض الحقائق العلمية التي حوتها سلالة من الآيات القرآنية في قوالبها اللفظية الشاملة، وضمتها في بطونها اللغوية الجامعة سائلاً المولى مدد الإعانة وحسن القبول.

أولاً: أسباب كتابة هذا البحث: هناك مجموعة من الأسباب التي دعتني إلى الكتابة لهذا البحث العلمي، ومن أهمها:

أولاً: الحرص على تجلية غيض من فيض الأسرار العلمية التي زخرت بها الآيات القرآنية؛ بما تفردت به من دقة للتعبير اللغوي، وعمق للمعنى العلمي، وروعة للتوظيف الدعوي، بتكاملية معرفية شاملة تفرد بها

---

(١) سورة الجن، من الآية" ١".

(٢) الجامع الكبير (سنن الترمذي) وفي آخره كتاب العلل، المؤلف: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩،٢٧٩هـ)، المحقق : بشار عواد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر (١٩٩٨م)، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ ، ج(٢٩/٥)، ح ر (٢٩٠٦) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

الذكر الحكيم دون غيره من إشارات الكتب السماوية المحرفة ونظريات المراجع العلمية المتخصصة.

ثانياً: التأكيد على مبدأ التوافقية الغائية بين إشارات الآيات القرآنية ويقينيات الحقائق العلمية في إطار معرفي من التعاضد الاستدلالي المستند إلى النص الإلهي، وتلك التوافقية تظهر جلياً فيما كشفته المكتشفات العلمية الحديثة من حقائق الكون وأسرار آيات الله- تعالى- في الآفاق.

ثالثاً: الرد العلمي المقنع على الدعوات المغرضة والحملات الإعلامية الموجهة المنادية بضرورة إبعاد الدين عن الحياة العامة بزعم اقتصاره على الشعائر التعبدية والقيم الأخلاقية ومصادمته للبحث العلمي ومعاداته للتقدم المعرفي، فهذا البحث بينة علمية صادقة تكشف زيف شعارات هذه الحملات الموجهة والممولة، ووهن توجهات هذه الدعوات المغرضة.

رابعاً: دعوة علمية حثيثة للدعاة إلى الله- تعالى- للاستفادة من ومضات العلوم التجريبية وحقائق المعارف الكونية التي زخرت بها الآيات القرآنية وحسن توظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية، وتجديد شباب أساليبها، وهذا ما سعى إلي إبرازه العلماء المتخصصون في علوم الكون والحياة في صورة من سلاسل المؤلفات العصرية، والتي حاولت إلقاء الضوء على بعض أسرار القرآن العلمية، لكنها افتقرت في معظمها إلى اللافتات الدعوية التخصصية المبرزة لقيمة تلك الإشارات العلمية في خدمة الدعوة الإسلامية؛ ولا يعاب على هؤلاء الأعلام ذلك لعدم تخصصهم في دراسة علوم الدعوة الإسلامية، بل يشكر لهم ما قدموه من جهود علمية صادقة سخرت لخدمة الإسلام والدعوة إليه؛ بما نشروه من جهود مخلصة لدينهم وأمتهم.

خامساً: التنبيه على شمول المنظومة المعرفية الإسلامية، والذي ظهر بجلاء في جمعها بين العلوم الشرعية والمعارف الكونية، فتلك الإشارات

العلمية التي زخرت بها الآيات القرآنية هي خير برهان على الشمولية المعرفية للمصادر النصية للدعوة الإسلامية، والتي- بدورها- تؤسس لمنهجية تكاملية العقلية الدعوية المعاصرة في فهم النص المعصوم والإحاطة بما ظهر من مراميه بما يحقق مقاصد الدعوة وأهدافها.

سادساً: بيان المنهج العلمي المتفرد للذكر الحكيم ليس في مزاوجته بين أنواع العلوم وتخصصاتها، بل في قدرته المتفردة على حسن عرضها حسب الزمان والمكان والعقلية بما لا يصادم عقل المدعوين آيان عرضها، ولا يكذب الحقيقة العلمية وقت ظهورها، وفي هذا تأصيل للقواعد الدعوية التي تخص حسن بلاغ الدعوة الإسلامية والمتمثلة في مخاطبة المدعوين على قدر عقولهم وبلغة زمانهم.

سابعاً: الكشف عن استمرارية العطاء العلمي للنص القرآني وقدرته المعجزة على إثراء الثقافة الإنسانية فيما استجد من ألوان علومها، وما استحدث من معارج فنونها، وهذا ما يظهر فيما يزخر به من فيوضات إشاراته المعرفية وومضاته العلمية، والتي ثبت تأبي النصوص القرآنية على ألوان النضوب والوقوف في عطائها عند الحدود؛ بما يؤكد على قدرته الفائقة على التعاطي مع كل جديد وشموليته لكل ما هو للدعوة نافع ولنشرها مفيد.

ثانياً: مشكلة البحث وتساؤلاته:

وتظهر في الأسئلة الآتية:

١. هل يمكن علاج القصور المعرفي المستشري بين فئة ممن ينتسبون إلى مجال الدعوة في إدراك مدى التكاملية في المنهج المعرفي الإسلامي ببن العلوم الشرعية والمعارف الكونية، وقدرتها العصرية على حسن العرض للدعوة الإسلامية إذا أُحسن استغلالها؟

٢. هل لهذا القصور المعرفي أثر سلبي مشهود على نظرة بعض المدعوين إلى قدرة الدعوة الإسلامية وصلاحيتها على استمرارية العطاء الدعوي ووفرة التميز الفكري في العصر الحديث، بل وأعطى الفرصة للمتربصين بها من الأعداء والأعياء لوسم الدعوة بما ليس فيها زوراً وبهتاناً أو جهلاً وضلالاً؟

٣. هل عطاء النص القرآني لا يزال قائماً أم أنه قد انتهى في القرون الأولى للتنزيل؟

ثالثاً: منهج البحث و الدراسة: لقد سلكت في إعداد هذا البحث بالمناهج البحثية العلمية الآتية:-

١.المنهج الوصفي التحليلي(١): هو منهج علمي يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة؛ تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً، وذلك من خلال: قراءة ما وقع تحت يدي من تراث علمي يتعلق بنقاط هذا البحث.

٢. المنهج التوثيقي: وهو منهج علمي يقوم على توثيق النصوص والنقول قبل اعتمادها مصدراً للحكم (٢).

٣. المنهج الاستقرائي: وهو منهج يتنقل فيه الباحث من الجزء إلى الكل، ومن العام إلى الخاص، وهو يسير متدرجاً في التعميم حتى يصل إلى حكم عام في القضايا الكلية، كما أنه منهج يقوم في كل خطواته على

(١) يقوم هذا المنهج على عمليات ثلاث: التحليل والنقد والاستنباط، وقد تجتمع هذه العمليات كلها في سياق بحث معين، أو قد يكتفى ببعضها، وذلك حسب طبيعة البحث. ينظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د: فريد الأنصاري، ص٩٦، منشورات الفرقان –مطبعة النجاح الجديدة– ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

(٢) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د: حلمي عبدالمنعم صابر، ص٢٦، مكتبة الإيمان– ط٢– ١٤٣٥هـ– ٢٠١٣م.

الملاحظة والتجربة واستقراء الجزئيات الواقعية والمقايسة بينها، حتى يصل إلى القوانين العامة [١].

رابعا: أسئلة البحث: يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:.

١. ما أبرز الحقائق العلمية المتعلقة بالتمدد الكوني في إطار السياق القرآني؟

٢. كيف سبق القرآن الكريم علم الفلك في إثبات مواقع النجوم ؟

٣. ما علاقة التعبير القرآني" والسماء ذات الحبك" بآية النسيج الكوني؟

٤. ما سبل توظيف هذه الحقائق العلمية لخدمة الدعوة الإسلامية؟

خامسا: أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:.

١. إبراز تفرد التعبيرات القرآنية في التدليل على الحقائق الكونية .

٢. التأكيد على قوة الانسجام بين آيات الكتاب المسطور وحقائق الكون المنظور.

٣. شحذ همم الدعاة إلى الله–تعالى–تجاه الاستفادة من هذه العلوم العصرية والاستفادة منها في التأكيد على التواصل المعرفي في بناء الشخصية الدعوية المتكاملة.

٤. بيان رؤية الإسلام المعرفية في تكامل العلوم الشرعية والتجريبية؛ بما يحقق أهداف الدعوة ويجدد شباب أساليبها في مواجهة موجات التيارات المعادية.

٥. التدليل على التجدد المعرفي المستمر للقوالب النصية القرآنية بما يتوافق مع حاجة الأزمنة والأمكنة والثقافات وارتقاءات العلوم المستحدثة.

---

(١) المرجع السابق، ص٥٢.

سادسا: الدراسات الأكاديمية السابقة :.

تتبعت الدراسات الأكاديمية والورقات البحثية السابقة والمتصلة بموضوع البحث- فلم أقف فيما ظهر لي- على بحث علمي أكاديمي متكامل يفرد الدراسة ببيان دقة التعبيرات القرآنية في التعبير عن الحقائق العلمية، وإن كان هناك الكثيرون قد تسابقوا في هذا الميدان العلمي إلا أن كتاباتهم لم تكن بالأسلوب الدعوي الذي يبرز جوانب الإعجاز من ناحية، ويخدم الدعاة من ناحية ثانية، ويرد على الملاحدة والمشككين من ناحية ثالثة، فتلك الدراسة الموجزة محاولة علمية أكاديمية لبيان تلك الجوانب السابقة في إطار دعوي علمي يؤكد على سعة عطاءات القرآنية في تخصصات العلوم التجريبية، والتي لا تقل عن فيضات كنوزه التشريعية واللغوية والأخلاقية.

سابعا: ويشمل هذا البحث على عدة مباحث هى:

المبحث الأول: (التمدد الكوني بين آيات الكتاب المسطور وبينات الكتاب المنظور).

المبحث الثاني: (مواقع النجوم بين قَسَم الآيات وهول المسافات).

المبحث الثالث: (الحبك الكوني بين الجمال والجلال).

ثم الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ثم المراجع والفهرس

توطئة:

السماء هي آفاق العالم الأرضي وسقفه المرفوع عليه، وصفحة جليلة من صفحات الكتاب المنظور التي يتجلى فيها عظائم آيات الخلق الإلهي ويظهر في آياتها شواهد الإبداع الرباني، ما يأخذ البصر والبصيرة نحو دقة الخلق، وروعة التكوين، وكمال القدرة، وجمال الخلقة، ودقة الصنعة بما يملأ القلوب إيماناً، والنفوس إذعاناً، والألباب اقتناعاً بوجود الإله المبدع، والصانع المتقن سبحانه وتعالى.

وقد زخرت الآيات القرآنية بالحديث المفصل عن آيات الله في السماء حديثاً دعوياً إيمانياً، مشبَّع بالحقائق العلمية الثابتة المستخلصة من قوالب الألفاظ اللغوية الجامعة بقدرة فائقة على خطاب عقلية المدعوين بخطاب عصري لا يصادم العقل وقت خطابه، ولا يصطدم بالحقيقة العلمية أيان كشفها، وفي هذا البحث وقفات مع ثلة من التعبيرات القرآنية التي سبقت بإعجازها اللغوي وعطائها العلمي و بُعدها الدعوي بينات علم الفلك وأبحاثه.

وهذا ما يتضح بيانه فيما يلي **عرضه من مباحث ومطالب وهي على النحو التالي:**

المبحث الأول:

(التمدد الكوني بين آيات الكتاب المسطور وبينات الكتاب المنظور).

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أبعاد الكون وحدوده في التصور العلمي القديم .

المطلب الثاني: التمدد الكوني بين الإعجاز القرآني والإنجاز العلمي .

المطلب الأول:

أبعاد الكون وحدوده في التصور العلمي القديم :

إن حقيقة التمدد الكوني والسعة الفضائية المتجددة والمسافات اللانهائية للأجرام السماوية لم تكن حقيقة مسلمة أو بدهية علمية متحققة منذ القدم؛ بل طوى الزمان بأحقابه المديدة أنوار سطوعها؛ وذلك لأن إدراك هذا الحقيقة الفلكية والحكم بصحتها احتاج إلى ارتقاءات علمية ودراسات تعمقية في العصور البشرية المتلاحقة، ومن ثم(فإن الاعتقاد الذي كان سائداً بين علماء الفلك منذ أرسطو الفيلسوف اليوناني في القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى أوائل القرن العشرين، أن الكون حدوده ثابتٌة وأبعاده محددة ويقتصر على مجرة درب التبانة وما حوت من أجرام سماوية)[١].

وهذا الاعتقاد الفلكي الخاطئ الذي سيطر على عقول البشرية لأحقاب طويلة، والذي بُني على الظن والتخمين؛ كان نتيجة طبيعية لقلة الوسائل العلمية المتخصصة في رصد هذه الظواهر الفلكية وبحثها بحثاً تعمقياً يفضي إلى نتائج علمية مما أدى بالبعض لمحاولة التحليل لأبعاد الكون بما يناسب طبيعة الزمان والعقلية البشرية وما هو متاح لها من الإمكانات العلمية والمراصد الفلكية، فآمن الناس بنظريات علمية على أنها حقائق ثابتة وتفسيرات فلكية خاطئة، ويؤكد على هذا الدكتور منصور حسب النبي

(١) مقال بعنوان" تمدُّد الكون وقانون هابل"، الكاتب: هيئة تحرير المجلة، الناشر: مجلة القافلة" مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين – شركة الزيت بالمملكة العربية السعودية، بتاريخ/ مارس – أبريل ٢٠١٨م، ص٥٢.

بقوله[١]:(عندما نزل القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام كان الناس يظنون أن للكون حدود ثابتة وأن الأرض هي مركزه وأن النجوم تقع غير بعيد عن الأرض، فهي– في وجهة نظرهم– فوانيس معلقة في كبد السماء في حدود ثابتة تمارس دورها في تشييد جمال السماء وهداية الحائرين في ظلمة الليل وإرشادهم في طرق سفرهم)[٢]

بل إن الاعتقاد بثبات الكون ومحدودية آفاقه، ومركزية الأرض لم يكن مجرد أفكار نظرية تردد على ألسنة غير المتخصصين في علم الفلك فحسب، بل سيطر أيضاً على عقول علماء الفلك لأحقاب زمنية طويلة حتى في بدايات عصر النهضة الغربية الحديثة، وظل هذا الاعتقاد الخاطئ مطبقاً على عقول العلماء حتى في عصر النهضة الغربية في القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر والتي ظهرت فيهما بواكير الحركة العلمية

(١) هو الأستاذ الدكتور: منصور محمد حسب النبي: مصري من مواليد منوف ١٩٣١م، أستاذ الفيزياء المتفرغ بكلية البنات بجامعة عين شمس ورئيس القسم ووكيل الدراسات العليا سابقاً، حصل على الدكتوراه بامتياز في الفيزياء من ألمانيا الغربية عام ١٩٦٢م، اشترك بالبحوث ورئاسة بعض جلسات ندوات ومؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم التي عقدت في الفترة بين عامي ١٩٨٥م إلى ١٩٩٥م في القاهرة ومكة وإسلام أباد وموسكو، درس في العديد من الجامعات المصرية والعربية، وله أحاديث إذاعية وتلفزيونية عديدة في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وخدمته للدعوة الإسلامية، وهو أحد المؤسسين لجمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمصر ورئيسها ومقرر لجنة الفيزياء والفلك والجيولوجيا بها. المصدر: ينظر/ غلاف كتاب ارتياد الفضاء بين العلم والقرآن/ د: منصور محمد حسب النبي/ دار الفكر العربي–ط١– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٢) يراجع/ الإسلام وقوانين الوجود، المؤلف: محمد جمال الدين الفندي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص٥٨.

الحديثة، وكان من نتائج هذه الحركة أن غُيرت العديد من النظريات العلمية الخاطئة والتي كان يُنظر إليها على أنها ثوابت علمية وأساسيات لتفسير الظواهر الفلكية كمركزية الأرض ومحدودية أبعاد الكون وغيرها، ويؤكد على هذا ما ينقله أ.د/ أحمد مدحت إسلام[1]" في كتابه "الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً حيث يقول عند حديثه عن حقيقة اكتشاف التمدد الكوني:

(١) هو الدكتور/ أحمد مدحت إسلام: ولد في القاهرة سنة ١٩٢٤م، وتعلم في مدارسها، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية في شبرا . التحق بكلية العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٤٢م، حيث أهّله مجموعه للحصول على نصف مجانية في عامه الدراسي الأول، ثم على مجانية كاملة طوال سنوات دراسته الأخرى، سافر إلى الخارج مبعوثاً للحصول درجة الدكتوراه والتي تمكن من الحصول عليها من جامعة جلاسجو الإنجليزية عام ١٩٥٤م، عُين بعد عودته من إنجلترا عام ١٩٥٤م مدرسًا بجامعة عين شمس، وعندما بدأت الدراسة بجامعة أسيوط عام ١٩٥٧م نقل إليها، حيث شارك مع زملائه في إنشاء الأقسام العلمية بالجامعة وتوفير التجهيزات المعملية بها، وفي عام ١٩٥٩م رقّي أستاذًا مساعدًا بكلية العلوم بجامعة أسيوط، ثم انتقل عام ١٩٦٤م إلى جامعة الأزهر ليعمل أستاذًا بها، وكان من أوائل أعضاء هيئة التدريس الذين شاركوا في إنشاء الأقسام العلمية بكليات الطب والهندسة والزراعة بجامعة الأزهر، وفي عام ١٩٧٠م صار الدكتور أحمد مدحت إسلام أول عميد لكلية العلوم بجامعة الأزهر، وقد استمر في هذا المنصب ٦ سنوات، قام بنشر أكثر من مائة بحث في المجالات العلمية، أشرف على مائتي رسالة ماجستير ودكتوراه، وكان عضواً بالجمعية الكيميائية المصرية بلندن، وعضواً بمجمع اللغة العربية، والمجمع العملي المصري، وله العديد من المؤلفات منها: بحر الهواء الذي نعيش فيه، هل نحن وحدنا في هذا الكون، رسالة كوكب، الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً وغيرها. المصدر: ينظر غلاف كتاب "الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً"، المؤلف: أحمد مدحت إسلام، الناشر: دار الفكر العربي بالقاهرة– ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

(كانت فكرة الكون الثابت مسيطرة تماماً على أذهان جميع المنشغلين بدراسة علم الفلك، وعندما وضع اسحاق نيوتن[١] نظرية الجاذبية العامة[٢] تقبل الجميع فكرة وجود الجاذبية بين مختلف مكونات هذا الكون، ولكن من الغريب أن أحداً لم يسأل عن السبب في أن هذه الأجرام السماوية كالمجرات" تجمعات نجمية تسبح في الفضاء الكوني" تبعد عن بعضها ولا يجذب بعضها البعض الآخر، بل كان الجميع يعتقدون أن الكون يجب أن يكون كوناً ثابتاً، وعندما وضع "أينشتاين[٣]" نظرياته العلمية في مطلع القرن العشرين كان متأكداً تمام التأكد من أن الكون في حالة ثبات تام)[١].

---

(١) إسحاق نيوتين (١٦٤٢م-١٧٢٧م):عالم بريطاني تفوق في الرياضيات والفيزياء، من أهم إكتشافاته: وضع ناموس الجاذبية في القرن الثامن عشر، وهو المبدأ الذي ترتكز عليه العوالم الثابتة وتتحرك بموجبه الكواكب السيارة، ابتكر المرقب المعاكس مما لفت أنظار الجمعية الملكية في إنجلترا فانتخبته فيما بعد رئيساً لها خلال خمس وعشرين سنة متوالية. المصدر: انظر/ موسوعة المكتشفين والمخترعين، د:موريش شربل، دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص ٣٦٧ نقلاً عن كتاب/ عباقرة العلم .

(٢) ينص قانون الجاذبية على أن أي كتلتين في الوجود بينهما قوة جذب، وهذه القوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين المتجاذبتين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما. أي أن قوة الجاذبية تزداد بزيادة كل من الكتلتين وتنقص بنقصهما، طبقاً لقوانين فيزيائية معينة. يراجع: للكون إله، المؤلف : د/صبري الدمرداش، ص٢٨٥.

(٣) ألبرت أنشتاين هو: عالم نمساوي من أصل يهودي ولد في" أولم" المنساوية عام ١٨٧٩م، وتلقى دراسته في جامعتي زوريخ وميونيخ وتوظف على إثر تخرجه في مكتب براءات الاختراع في " برن" بسويسرا، ثم بعد حصوله على الأستاذية في جامعة زوريخ ثم في جامعة برلين ووظف فيها، وما لبث أن نال جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢١م، طاف أقطار العالم الغربي حتى استقر بالولايات المتحدة الأمريكية حيث عُين في جامعة "برنستون" متابعاً نشاطه العلمي، من أهم أعماله: وضع نظرية النسبية، وضع أساساً ==

وبهذا التفسير العلمي الخاطئ طويت كنه هذه الحقيقة العلمية عن الظهور إلى العلن لأحقاب زمنية طويلة، وعلى مدى أجيال متلاحقة من علماء الفلك، وظل الاعتقاد السائد والقائل بثبات أبعاد الكون ونهائية حدوده مسيطراً على الفكر الإنساني، حتى في عصر النهضة العلمية في الغرب ظل الأمر ثابتاً على الرغم من الارتقاءات العلمية والتطور الكبير في أجهزة الرصد والمناظر الفلكية، وتغيير العديد من الاعتقادات العلمية الخاطئة التي كانت تقع من العقول موقع المسلمات العقلية التي تبنى عليها النظريات والافتراضات الموصلة لاستنتاج المعلومات وتغيير النظريات.

(ولنا أن نتساءل: لماذا لم يفكر أحد في هذا التمدد من قبل، فقد كان على نيوتن وغيره من علماء النهضة الغربية في القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر، بعد أن عرفوا بوجود قوى التجاذب بين الأجسام، أن يدركوا أن الكون الثابت الذي لا تتحرك مكوناته لابد أن ينكمش تدريجياً بتأثير قوى التجاذب بين هذه المكونات؟)(٢).

إن الإجابة العلمية على هذا السؤال تتطلب التطرق لحقيقة تمدد الكون بين الإعجاز القرآني والإنجاز العلمي، والفرق بينهما؛ لتكون الإجابة شافية ولغرضها في الإيضاح كافية، وهذا ما يرجي بيانه في المطلب التالي:

==

حسابياً لتركيب الكون وغير ذلك، وتوفى عام ١٩٥٠م. ينظر/ موسوعة المكتشفين والمخترعين، د:موريش شربل، ص٦٣.

(١) الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً، المؤلف: أحمد مدحت إسلام، ص٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص٩٣.

المطلب الثاني

التمدد الكوني بين الإعجاز القرآني والإنجاز العلمي

للتعرف على طبيعة التمدد الكوني وإدراك بعض أبعاده العلمية، وبيان سلالة من مراميه الدعوية بالكشف عن ثلة من ومضات عظمة الخلق الإلهي في إبداع البناء السماوي، لابد من الرجوع إلى التعبيرات القرآنية الزاخرة بالإشارات العلمية المتحققة، وطرق أبواب العلوم التجريبية المتخصصة في تجلية الحقائق الكونية وكشف تفاصيلها العلمية للوصول إلى قوة التطابق بين تعبيرات الكتاب المسطور وما يُجلى من حقائق الكون المنظور، وبيان ذلك فيما يلي:.

أولاً: التمدد الكوني في آفاق التعبير القرآني:.

في الوقت الذي كان يخطو فيه الفكر الإنساني أطواره الأولى في اختراع العلوم وإيجادها، أو الارتقاء في معارج تطوريها وتقدمها؛ باكتشاف الحقائق العلمية وتجلية أسرارها، وكانت علوم الفلك والهيئة ما زالت في أطوارها العلمية الأولى من حيث ابتكار النظريات العلمية واختبار الفرضيات النظرية؛ لقلة المعطيات العلمية المتوافرة أو عدم وجود المراصد الفلكية المستخدمة في تأكيد الحقائق التي تظهر لعلماء الفلك، كان الوحي الإلهي المعصوم–وما زال– تتجلى أنواره العلمية وتسطع فتوحاته الفكرية على أجيال الإنسانية ليعطيها من العلم أقطعه ومن اليقين ألزمه في صورة عطاءات علمية متتالية يراعي في الخطاب بها حالة العقل الإنساني وقت إنزالها رفقاً به وحرصاً على هدايته، ولا تصادم الحقيقة العلمية أيان كشفها، بما يؤكد على قدرة الخطاب القرآني المعجز على تجلية حقائق الأكوان بما لا يتصادم مع عقل الإنسان وقت الإنزال، ولا يعارض حقائق العلوم عند الاكتشاف.

وكان من آيات هذا الإعجاز العلمي ما زخرت به آي الذكر الحكيم من حديث جامع عن حقيقة "التمدد الكوني" فى كلمات ذات حروف قليلة العدد، ولكنها في طيات معانيها كثيرة العطاء وغزيرة المدد، فلقد أكد القرآن الكريم على تلك الحقيقة العلمية في قول الحق سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (١).

فالآية الكريمة على إيجازها اللفظي إلا أنها أشارت إلى حقيقة علمية في مجال علم الفلك ألا وهي" التمدد الكوني"، وهي حقيقة تواترت على بيان جوانبها المعاجم اللغوية وكتب التفسير والمراجع الفلكية الحديثة في حلقات علمية متواصلة، وبينات فلكية متكاملة تجلى هذه الآية الكونية وتكشف عن عطاءاتها العلمية.

فبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية التي ورد فيها مادة "وَسَعَ" نجد أنها تشير إلى أن معانيها تدور حول" البسط والكثرة، وعدم الضيق والرحابة" ومنه(وسَّعَ يوسِّع، توسيعًا وتوسِعَةً، فهو مُوسِّع، والمفعول مُوسَّع– للمتعدِّي... ووَسَّعَ اللهُ عليه: رِزقَه أي: بَسَطه وكثّره وأغناه، وَسُعَ المكانُ : رَحُب، وسَّع الشَّيءَ: صيَّرهُ واسعًا، كبَّرهُ، خلاف ضيَّقه، وسَّع الشَّيءَ : صيَّرهُ واسعًا، وبَسَطه، ومَدّه، وأفاضه، وَسُعَ الفَرَسُ :اِتَّسَعَ في السَّيْرِ فهي وَسَاعٌ)(٢).

---

(١) سورة الذاريات، الآية" ٤٧".

(٢) يراجع/ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون، (٣٢٨/٢٢).

فهذه المعاني اللغوية لكلمة "وسَّعَ" التي جاء منها لفظ ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ وهو اسم فاعل بصيغة الجمع لفعل(أوسع)، تشير بمجامع معانيها إلى التوسع والبسط والرحابة وعدم الضيق في الشيء مع الاستمرار في ذلك، وهذا كله ما أخذه المفسرون عند تفسيرهم لهذا اللفظ القرآني على اختلاف أزمنتهم وتعدد أمكنتهم، فقد ذهب الإمام القرطبي(المتوفى: ٦٧١هـ)إلى تفسير السعة الواردة في الآية الكريمة بأوجه متعددة منها ما هو مأثور عن السلف ومنها ما يعتمد على الدلالة اللغوية فقال: (﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال الإمام ابن عباس: لقادرون. وقيل: أي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده. وقيل: أي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا، وعن الحسن: وإنا لمطيقون. وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنيناكم، دليله: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾[١]، وقيل: ذو سعة في خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة. الجوهري: وأوسع الرجل أي: صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [٢]أي أغنياء قادرون[٣].

وما ذهب إليه الإمام القرطبي في بيان معان لفظ﴿ لَمُوسِعُونَ﴾ أكد عليها الإمام الشوكاني(المتوفى: ١٢٥٠هـ) بقوله: (﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، الموسع: ذو الوسع والسعة، والمعنى: إنا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا نعجز عن

---

(١) سورة البقرة، من الآية" ٢٣٦".

(٢) سورة الذاريات، الآية" ٤٧".

(٣) الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، (٥٢/١٧).

ذلك، وقيل: لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة، وقيل: إنا لموسعون الرزق بالمطر. وأوسع الرجل: صار ذا سعة وغنى) [١].

وتوسع الإمام الآلوسي(المتوفى: ١٢٧٠هـ) في بيان معان السعة المقصودة من الآية الكريمة محاولاً إيجاد معنى جديد لتلك السعة رابطاً بينها وبين مظاهر القدرة الإلهية في الكون، فقال:(﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٢] أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، فالجملة تذييل إثباتا لسعة قدرته–عز وجل– كل شيء فضلا عن السماء، وفيه رمز إلى التعريض الذي في قوله تعالى:﴿وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [٣]، وعن الحسن: لَمُوسِعُونَ الرزق بالمطر وكأنه أخذه من أن المساق مساق الامتنان بذلك على العباد لا إظهار القدرة فكأنه أشير في قوله تعالى: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾ إلى ما تقدم من قوله سبحانه:﴿ وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ﴾[٤] على بعض الأقوال فناسب أن يتمم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ مبالغة في المن ولا يحتاج أن يفسر الأيد بالأنعام على هذا القول لأنه يتم المقصود دونه، واليد بمعنى النعمة لا الإنعام، وقيل: أي لموسعوها بحيث إن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها

(١) يراجع/ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، (٥/ ١٠٩).

(٢) سورة الذاريات، من الآية" ٤٧".

(٣) سورة ق، من الآية" ٣٨".

(٤) سورة الذاريات، من الآية" ٢٢".

كحلقة في فلاة، وقيل: أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة، والمراد السعة المكانية)[١].

ومما سبق عرضه من تفاسير لسلالة من أعلام التفسير يظهر مدى التسابق في بيان المعاني المستنبطة من لفظ ﴿ لَمُوسِعُونَ﴾ في ضوء ما توافر لدى أصحابها من نقول مأثورة عن أعلام السلف الصالح، وما تستند إليه من التعبيرات اللغوية، وهذا التسابق العلمي يظهر بدوره مدى نفاسة التراث التفسيري في بيان معاني اللفظ القرآني الذي وسع- وما زال- يتسع للعطاءات الفكرية التي تدور في فلك استجلاء كُنه في مجالاتها المتخصصة والتي تكشف الأزمنة عن غيض من فيض أسرارها، وروعة دلالاتها، ودقة تعبيراتها.

ثانياً: " التمدد الكوني" في ضوء الاكتشافات الفلكية الحديثة:.

إذا كان جمع من علماء التفسير حاولوا جاهدين- على اختلاف عصورهم- استجلاء مرامي هذه الآية الكونية في ضوء المعاني اللغوية والفهوم العقلية الهادفة إلى بيان كمال الصنعة الإلهية في إبداع الأجزاء الكونية، فإن علم الفلك الحديث وبعد نزول الذكر الحكيم بما يربو على ألف عام ونيف من القرون، جاء ليؤدي دوره المنوط به في تقرير هذه الحقيقة العلمية –التمدد الكوني- بل ويخرجها للعيان في بسط علمي واسع يكشف

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت_ الطبعة:الأولى، ١٤١ هـ، (١٨/١٤).

للبشرية جوانب هذه الحقيقة العلمية بجلاء ليقرر إعجاز القرآن اللغوي وفيض عطائه العلمي السابق للعلوم الكونية في مجال تخصصاتها الفلكية.

إن الباحث في ثنايا الكشف عن حقيقة التمدد الكوني من خلال الكشوفات الفلكية؛ ليذهل من الجوانب العلمية التخصصية المتعلقة بهذه الآية الكونية العلية؛ بما يؤكد على العظمة الإلهية في الإبداع والخلق، والرحمة الإلهية في الحديث عن تلك الآية عند العرض لتحقيق الإقناع، في مداد من الإعجاز النفسي لعطاء القرآن العلمي الذي يوازن في احترافية دعوية حدود العقول البشرية وقت النزول ووقت الاكتشاف فلا يحملها على مالا تقدر على تصوره وقت نزول النص القرآني، ولا يصدمها بما يغاير ثوابتها وقت ظهور الكشف العلمي، وهذه قمة الإعجاز في الجمع بين الأمرين في تكامل وتوازن يحقق الهدف من ذكر الحقيقة العلمية ويراعي مستوى العقلية الدعوية.

هذا.. وتتضح معالم التوسعة الإلهية للبناء السماوي فيما يلي عرضه من جوانب علمية تتعلق بهذه الآية الكونية، والمتمثلة فيما يلي:.

الأولى: <u>ضخامة الأعداد وكثرتها</u>: فقياس المسافات بين الأجرام السماوية المشكلة للبنيان السماوي لا تحسب بالأعداد التي يستطيع العقل البشري تصورها ومعرفة حدودها بنفسه، بل هي أعداد فلكية هائلة تحاول أن تُقرب للعقل البشري الصورة الحقيقية للمسافات الكونية الشاسعة، (فقد بينت الدراسات وعمليات الرصد في العصر الحديث، أن المجرات[1] تنتشر في

(١) المجرات هي بمثابة القارات الكونية التي تنتشر في أجزاء الفضاء متفرقة، والمحتوية على حشود من الأجرام السماوية كالنجوم والكواكب والمذنبات والسدم غيرها، وتنتشر في مجموعات متعددة هي قوام السماوات. يراجع/ هذا خلق الله، المؤلف: د/ جمال الدين ==

الفضاء وفي كل الاتجاهات، ويبتعد بعضها عن بعض بمسافات كبيرة جداً قدرت بنحو مليوني سنة ضوئية في المتوسط، ويدل ذلك على الاتساع اللانهائي لهذا الكون وحجمه الهائل الذي لا يمكن تصوره بمقاييسنا المعتادة) [١]

وإذا ما حاولنا أن نطبق مبدأ قياس الأعداد على أقرب مجرة تابعة لها المجموعة الشمسية وهي مجرة""درب التبانة"" لوجدنا الأرقام الفلكية الهائلة التي تشير إلى هذا التمدد الكوني، فمثلاً(تتكون هذه المجرة من نحو ٢,٠٠٠٠٠مليون نجم، وإذا عرفنا أن أقرب نجم من الطريق اللبني للشمس= ٤ سنة ضوئية[٢] فقط، وقد استطاعت مراصدنا الأرضية أن ترصد ٥٠٠ ألف مليون مجرة فقط!!!، وكل مجرة تتألف من آلاف الملايين من النجوم التي تتحرك جميعاً، ومع هذا فلا ندري أين حدود هذا الكون؟؟؟)[٣]

الثانية " اتساع المسافات وتباعدها": تتجلى صورة أخرى كونية من الصور المثبتة لهذه الحقيقة الفلكية في الابتعاد الدائم والمستمر بين الأجرام السماوية في مسافات خيالية تؤكد على التوسع المستمر لأجزاء هذا البناء

==

الفندي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد: ٢٤- السنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م، ص ١٣.

(١) الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً، المؤلف د: أحمد مدحت إسلام، ص٨٦.

(٢) السنة الضوئية هي: المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة بسرعته التي تبلغ ٣٠٠ألف كم في الثانية الواحدة. يراجع/ هذا خلق الله، د/ جمال الدين الفندي، ص١٣.

(٣) يراجع/ هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، المؤلف د: عبدالعليم عبدالرحمن خضر، الناشر: تهامة- جدة – المملكة العربية السعودية- ط٢، ص٢٤.

السماوي وتمدده، وهذا ما (أكدته المراصد الفلكية الحديثة حيث أوضحت لنا وجود أكثر من ٢ بليون مجرة في هذا الكون العظيم! وإن قياس المسافات بين النجوم هائلة في داخلة المجرة الواحدة، والتي تحتوي في المتوسط على أكثر من مائة بليون نجم! بل إن المجرات تفصلها مسافات تفوق الخيال وهي حالياً تتباعد عن بعضها البعض وهذا موجود منذ نشأة الكون حتى الآن وفي المستقبل، مما يدل على حقيقة علمية توكد تمدد الكون أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [١])[٢].

بل ويؤكد على عظمة هذه المسافات الكونية بين الأجرام السماوية وهول أعدادها، وضخامة أرقامها بما لا يتصوره عقل بشري أو يصل إلى حده تطور علمي (ما قال بعض علماء الفلك: إن قطر الكون المرئي يبلغ أكثر من ٢٥ألف مليون سنة ضوئية، وسرعة الضوء في الثانية الواحدة ٣٠٠ ألف كم، أي أنها تبلغ في الدقيقة الواحدة ١٨مليون كلم. وفي الساعة مليار و٨٠ مليون كلم، وفي اليوم ٢٠ ٥٩٢ وأمامها ١٠ أصفار، وفي السنة ٩،٤٦٠٨ وأمامها ١٢ صفرا... بأي رقم يمكن أن نحصل عليه لو ضربنا هذا الناتج ب٢٥ مليون سنة ضوئية، وقال بعض العلماء إن قطر الكون المرئي (حاليا) أي أوائل القرن الحادي والعشرين يقدر بنحو ١٠ مليارات سنة ضوئية) [٣].

---

(١) سورة الذاريات، من الآية" ٤٧".

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المؤلف: د/ محمد منصور حسب النبي، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة– مصر– د ط، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م، ص٢٨١.

(٣) بناء الكون ومصير الإنسان" نقض لنظرية الانفجار الكبير" حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية، المؤلف: د/ هشام طالب، الناشر: دار المعرفة– بيروت– لبنان– ط١، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م، ص٢٤٤.

ثالثاً: <u>التوسع المتجدد والمستمر للبناء السماوي:</u> القائم على سرعة الابتعاد بين الأجرام السماوية نتيجة لضخامة الأعداد وُبعد المسافات وهذا ما(كشفه العلم أخيراً في حقيقة فلكية مدهشة... وهي أننا إذا حللنا طيف نجم مضيء آخذ في الابتعاد في الفضاء الكوني وقسنا سرعة تنقله عن غيره، .. وبعد عمليات رياضية دقيقة ومعقدة وطويلة تمكن العلماء من أن يقرروا ابتعاد النجوم عن بعضها.. وسرعة الابتعاد تستند إلى هذا الانتقال.. فإذا درسنا المجرات البعيدة تبين لنا أمر يدهشنا كل الدهشة، وهو أن هذه المجرات تبدو آخذة في الابتعاد عنا، مندفعة في الفضاء بسرعة هائلة قد تبلغ ١٤٠٠٠ ميلا في الثانية الواحدة، والمدهش حقاً أن المجرات–علاوة على ما سبق– كلما ازدادت سرعة اندفاعها ..فما معنى ذلك .. ذلك معناه أن هذا الكون آخذ في التمدد والانتشار والاتساع بسرعة هائلة)[١].

رابعاً: <u>اكتشاف المجرات والعثور على المزيد من الأجرام السماوية:</u> فحقيقة التمدد الكوني لا تتوقف جوانبها الإعجازية عند ما سبق ذكره من ضخامة الأعداد وكثرتها، ولا شسوع المسافات وتباعدها، ولا سرعة التباعد بين الأجرام السماوية، وإنما تتجلى في حقيقة علمية أخرى تتأكد مع كل قفزة علمية جديدة في مجال العلوم الفلكية بتواتر الشواهد العلمية على عظمة هذه الحقيقة الكونية– التمدد الكوني– وتتمثل فيما يكتشف فيما يكتشف من أجرامه وآفاقه المتجددة والتي تثبت قطعية هذا الإعجاز الفلكي للفظ القرآني،(فمن الأسرار الجديدة أن عملية ميلاد النجوم والمجرات في الكون متجددة ومستمرة، وعليه فالكون يجب أن يتمدد ويتسع بقوة، ولذا كان

(١) هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، المؤلف: د/عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص٣١.

التعبير القرآني﴿ لَمُوسِعُونَ﴾ بلام التأكيد لتنطق الحقيقة القرآنية في عصر العلم بلا حاجة إلى صعوبة تفسير أو اجتهاد)[1].

هذا.. وقد تكشفت معالم هذه الحقائق الفلكية لجوانب تلك الآية الكونية– التمدد الكوني– مع صناعة التلسكوبات الفلكية القوية الحديثة والتي تستخدم في اختراق أعماق الفضاء الكوني تم تسجيل واكتشاف البلايين من المجرات، ولاحظ العلماء أنها تتباعد عن بعضها بسرعة منتظمة، وأنها تنتشر في الفضاء الكوني باضطراد، ومع أن هذه التفاصيل مشوقة للغاية، إلا أنه ما زال أمامنا الكثير فيما يتعلق بمعرفة أعداد الوحدات الرئيسة لتركيب الكون" المجرات" أي بتعبير آخر معرفة ذات الكون التي تشهد باتساع ملك الله. [2].

<u>الدلائل الدعوية المستهدفة من ورا هذه الآية الكونية:</u>

بعد البيان العلمي التخصصي لبعض أبعاد هذه الآية الكونية" التمدد الكوني"، والتي أفاض علم الفلك الحديث في الكشف عن بعض جوانبه المكتشفة حتى الآن؛ من تقرير "ضخامة الأعداد وكثرتها"، و"شسوع المسافات وتباعدها"، و"سرعة التباعد بين الأجرام السماوية"، و"اكتشاف المزيد من الأجرام السماوية ووفرتها"؛ أخلص إلى القول: إن الكشف عن جوانب هذه الحقيقة تؤكد على كمال العظمة الإلهية في إبداع البناء السماوي

---

(١) هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، المؤلف: د/عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص٣٤.

(٢) تكنولوجيا الفضاء الكوني والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المؤلف: د/عبد العليم عبد الرحمن خضر، الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع– جدة – المملكة العربية السعودية– ط١– ١٤١٣هـ= ١٩٩٣، ص٧٥، ٧٧.

بما يفوق حدود القدرة البشرية، وبما لا يدع مجالاً للشك في قوة القدرة الإلهية، في رسالة علمية صريحة تنازع كل مدع للألوهية من المخلوقين، وتجادل كل منكر لوجود الإله من الملحدين ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١) .

كما يظهر من خلال هذه الحقيقة الفلكية، شواهد علمية تكشف عن طبيعة البناء السماوي الذي يقوم على سعة الآفاق ورحابة الأقطار وضخامة المساحات التي يشاهدها البصر وتستجلي من ورائها البصيرة مدى العظمة الإلهية في إمساك هذا البناء رغم اتساعه، والسيطرة على أقطاره وإن عظم في ثقل أوزانه، وهذا يؤكد على الرحمة الإلهية بأجناس الخليقة، وصدق الله العظيم:﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

أيضاً.. تثبت حقيقة التمدد الكوني المتجدد، والذي نطقت به الآية القرآنية في ألفاظ مركزة وعطاءات علمية متجددة تسع تلك الاكتشافات وقت ظهورها، بل هي حافز علمي إيماني يوقد شعلة النشاط البحثي والنشاط العلمي لإظهار المزيد من الجوانب العلمية لهذه الآية الكونية بما يؤكد على مدى التوافقية بين اليقينيات العلمية المثبتة وما أشارت إليه الآيات القرآنية المنزلة في تناغم دعوي وتكامل علمي وتآلف فكري يثبت أن مبدع الكتاب المنظور هو منزل الكتاب المسطور.

---

(١) سورة لقمان، الآية" ١١".

(٢) سورة الحج، من الآية" ٦٥".

المبحث الثاني

مواقع النجوم بين دقة التعبير القرآني وارتقاءات علم الفلك

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: مواقع النجوم في التصور العلمي القديم

المطلب الثاني: مواقع النجوم بين تعبير القرآن واكتشاف علم الفلك.

المطلب الأول:

مواقع النجوم في التصور العلمي القديم

إن إبداعات الخلق الإلهي في الآفاق لا تتوقف عند حقيقة التمدد الكوني فحسب، فما هي إلا صفحة كونية واحدة من صفحات الإبداع الرباني اللانهائية، الناطقة بلسان حالها بروعة الخلق، والشاهدة بدقة تصريفها على عظمة القدرة الإلهية في خلق الكون، وجعله كتاباً منظوراً تقرأ فيه العقول البشرية المنصفة براهين الربوبية المدبرة والعظمة الإلهية المتفردة، وما زالت شواهد الكتاب المنظور تترا بما يشهد لآيات الكون المسطور بألوان الإعجاز المتخطية لكل تطور أو ارتقاء أو إنجاز.

ولعل مسألة قياس "حركة النجوم وتحديد مواقعها" من المسائل الفلكية التي خفيت حقيقتها العلمية عن الفكر الإنساني على مدار أحقابه حتى آن قريب، فلم يذكر لها مثال في أحقاب التاريخ البشري القديم؛ فلقد(ظن الأقدمون على سبيل العموم أن النجوم على ارتفاعات تصل إلى بعض كيلو مترات من الأرض، وكأنها مسامير من الفضة لتثبيت القبة السماوية الزرقاء فوق رؤوسنا، وآمن الإنسان القديم أن النجوم التي تظهر في البروج المختلفة في السماء ثابتة لا تتحرك، وأطلق على النجوم "الثوابت" تمييزاً لها عن الكواكب السيارة التي كان يدرك حركتها مثل كواكب عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وغيرها)[١].

(١) إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م، ص١٦٤، ويراجع/ الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المؤلف: د/ محمد منصور حسب النبي، ==

وهذا الاعتقاد الخاطئ بثبات النجوم ووقوف حركتها لم يكن مجرد تصورات أو تخيلات ساذجة سيطرت على عقلية العوام دون غيرهم، بل ألقي هذا الاعتقاد بظلماته الافتراضية على الساحة العلمية لأحقاب تاريخية طويلة، وذلك لقلة الوسائل الفلكية المستخدمة في رصد وتتبع حركة هذه الظواهر الفلكية الدقيقة، والتي لابد من توافرها للقدرة على التعرف على حقيقتها تمهيداً لإعلان ما يتعلق بها من منجزات فلكية مكتشفة، ومن ثم فقد ظن(فلاسفة اليونان القدامى في الفترة القريبة من ميلاد المسيح عليه السلام أن الأرض مسطحة الشكل، وأنها مركز الكون، وأن النجوم الثابتة والكواكب المتجولة عبارة عن ثقوب صغيرة وقريبة من الأرض لتسمح بالإضاءة من خلفها نار ضخمة تسمح بالمرور من خلال هذه الثقوب فتظهر على شكل نقاط مضيئة في السماء) [١].

وما ظنه الفلاسفة في هذه الأزمنة السحيقة حول ثبات النجوم ووقوف حركتها كان له صدى في أجواء علم الفلك القديم، ولذا(اعتقد الفلكيون القدماء أن النجوم مثبتة في قبة سماوية تدور يومياً حول الأرض، ونظروا إلى الأفق وتخيلوا الأرض كالقرص المستدير تنطبق على حواف القبة السماوية، وكأن السماء كرة تحيط بنا وتدور حولنا بما فيها من نجوم

==

ص٢٧٧، وينظر/ هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، المؤلف د/ عبدالعليم خضر، ص٤٧.

(١) يراجع/ الكون طريقي إلى الله، المؤلف: عماد مجاهد، الناشر: دروب للنشر والتوزيع- عمّان-الأردن، بدون، ص١٧٢.

وكواكب، وقد أدى هذا التخيل إلى الفرض الخاطئ عن مركزية الأرض باعتبارها ساكنة في مركز الكون ومحور وجوده)[١].

وبهذا الاعتقاد الخاطئ والتصور العلمي الساذج الذي سيطر على الساحة العلمية القديمة بقسميها(النظرية الفلسفية، والتجريبية الفلكية) عن طبيعة حركة النجوم الذاتية، والتي هي الأساس في تحديد مواقعها وباب البحث في تلك المسألة، وما ارتبط في تشكله بالتخيلات الساذجة وبُني في تصوره على الفرضيات الخاطئة التي تدور بالجملة حول ثبات النجوم في القبة السماوية، طوي البحث عن تلك الحقيقة العلمية لأحقاب زمنية طويلة، مطبقاً فيها على الساحة الفلكية ظلمات هذا التصور العلمي الخاطئ بطريقة متوارثة ولأجيال علمية متعاقبة، وتلك حقيقة علمية تاريخية يكشف عن بعض جوانبها الدكتور: أحمد مدحت إسلام بقوله:(لم تكن طبيعة النجوم الثابتة معروفة بدقة، بل كانت هناك معتقدات قديمة سيطرت على الفكر العلمي حتى عهود قريبة، ومنها الاعتقاد بأن النجوم ما هي إلا نقط بيضاء رسمت على صفحة السماء السواء، وهناك من اعتقد أن هذه النجوم ثقوب صغيرة ينفذ منها الضوء من خارج دائرة النجوم، بل وحتى في بواكير زمن النهضة العلمية الحديثة في القرن السابع عشر، كانت أفكار المشتغلين بالفلك عن طبيعة هذه النجوم وحركتها ومواقعها غامضة إلى حد كبير... ويعد العالم البريطاني(هالي) أول من اكتشف عدم صحة القول بثبات النجوم، فقد أوضح أن النجوم تتحرك ببط شديد، وتغير موضعها قليلاً بالنسبة لبعضها بمرور الزمن، ونتج عن هذا الاكتشاف تغيير الاعتقاد بثبات النجوم واعتبر الكون منذ هذه اللحظة في وجهة نظر علم الفلك الحديث أنه يتكون من فضاء لا نهائي تسبح فيه النجوم، ومع ابتكار

(١) القرآن الكريم والعلم الحديث، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، الناشر: الهئية المصرية للكتاب– القاهرة– الطبعة الأولى– ١٩٩١م، ص٢٦٠،

المناظير والتلسكوبات ذات قوة التكبير راح علماء الفلك يمسحون صفحة السماء وشاهدوا نجوما كثيرة متحركة لم يكن من الممكن رؤيتها بالعين المجرة)[1].

إذن فمسألة قياس أبعاد النجوم ومعرفة مواقعها كانت مسألة فلكية خافية في أحقاب البشرية على مدار أجيالها وارتقاء علومها، وتعدد معارفها، نتيجة اعتقادات خاطئة بنيت على تأويلات ساذجة ومزجت بأفكار واهية سادت في أروقة الثقافة العامة وسيطرت على الأوساط الفلكية؛ نتيجة لقلة المعطيات العلمية التي تكشف عن حقيقة تلك الظاهرة الفلكية وتظهر ما بها من إعجازات ربانية، وما زال(علماء الفلك يجدون ويجتهدون في أعمق دراسة عرفها علم الفلك للكشف عن حقيقة تلك المواقع، وإن الوقت الذي يتمكنون فيه من تحديد مواقع النجوم ورسم خريطة لها سيكون يوما حاسما في تاريخ البشرية؛ لإن تلك الدراسة وهذا الكشف الفلكي سيمدنا بمفتاح لأجمل منظر رأته أعين البشر أو تراه في حياتهم، وسيمكننا من أن ننظر إلى السماء العجيبة المترامية فنفهم من معانيها مالم نكن نفهم، وإن مواقع النجوم لو أمكن رسمها تفصيلا لأعطتنا تفسيراً لحقيقة الكون وبيان العديد من حقائقه العجيبة التي غيب التاريخ تفاصيها، زمن هنا ندرك عظم القسم الإلهي الوارد في قوله تعالى: :﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[2])[3].

(١) يراجع/ الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً، المؤلف: أحمد مدحت إسلام، ص٧٩، ٨٠.

(٢) سورة الواقعة، الآية" ٧٥، ٧٦".

(٣) يراجع/ القرآن والعلم الحديث، المؤلف د: عبد الرزاق نوفل، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، ص١٧٦، ١٧٧.

وهذا.. وقد تولى علم الفلك الحديث الكشف عن العديد من الحقائق العلمية المتعلقة بمواقع النجوم، وبيان ذلك في المطلب التالي.

المطلب الثاني:

مواقع النجوم بين سبق التعبير القرآني وبينات الكشف العلمي.

من ألوان الإعجاز العلمي الذي زخرت به آيات الكتاب المسطور في آفاق الكون المنظور، والذي تفردت به في دقة من التعبير اللفظي المعجز، الذي حوى الحقيقة العلمية قبل اكتشافها، وما تصادم مع معطياتها عند استجلاء جوانبها، بل تقديمها في ثوب لفظي قشيب ينطق بجماله بروعة التعبير ودقته، ويشير بجلاله إلى وجود المغزى العلمي التخصصي وتحققه، ما أشارت إليه آي الذكر الحكيم حول" مواقع النجوم"، وفيما يلي عرض لجوانب هذه الحقيقة العلمية بين التعبير القرآني والإنجاز العلمي:

أولاً: مواقع النجوم في لمحات من التراث التفسيري للنص القرآني :.

في الوقت الذي هام فيه علم الفلك–في الكثير من مسائله– في ظلمات متراكمة تبنى على تصورات خاطئة، وتخضع لفرضيات متوارثة، وتؤسس على معطيات علمية ساذجة، مشفعًا ذلك بقلة الوسائل التجريبية المتخصصة المنوطة بكشف هذه الحقائق العلمية وإخراجها– ومنها حقيقة مواقع النجوم–، في عقود زمنية طويلة وأحقاب عمرية مديدة لا تهتدي بمنهجية علمية ناجحة، أو تعتمد على أثارة من بينات علم الفلك المنصفة.

في الجهة الأخرى كان مداد العطاء العلمي للوحي الإلهي المعصوم يمارس دوره المنوط به في إثارة الهمم العلمية تجاه استجلاء المعارف الكونية من خلال تعبيرات الآيات القرآنية، وكشفها لجوانبها بلطيف الإشارة ودقة العبارة في قوالب لفظية جامعة تجمع الأبعاد العلمية المرادة، وتفتح أمام تلك الهمم أبواباً مشروعة لمزيد التدبر وإعمال العقل في أجواء هذه

الظواهر الفلكية بما جمعته من دقة التعبير وجماله، وروعة السياق وجلاله وهو ما ظهر جليا في آيات إلهية منزلة تكشف عن هذه البينة الكونية المحكمة، وهذا في قوله تعالى:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(١).

فالسياق القرآني المنزل على إيجاز مبناه اللفظي وقلة كلماته حوى حقيقة فلكية عظيمة في بطون معانيه اللانهائية ألا وهي الإشارة إلى "مواقع النجوم"، وهي حقيقة فلكية تداعت على بيانها الهمم العلمية في العصور الإسلامية المتلاحقة في تسابق علمي حثيث وبحث فكري محمود يحاول تجلية المعاني العلمية المستنبطة من عطاءات الآيات القرآنية المتعلقة بهذه الآية الكونية، وقد وقف أهل التفسير منذ عهودهم الأولى جانباً من جهودهم وصرفوا طرفاً من عظيم بحثهم لبيان المعنى المراد من وراء هذا القسم الرباني بهذه الآية الكونية.

فها هو الإمام ابن عباس يوضح أن المقصود ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: (أَي: مساقط النُّجُوم. وَيُقَال: مساقطها ومطالعها أقسم بهَا لما علق بهَا من مصَالح الْعباد، وَهُوَ قَول جمَاعَة كَثِيرَة من التَّابِعين (مِنْهُم) : الْحسن، وَقَتَادَة، وَعِكْرِمَة وغيرهم)(٢).

---

(١) سورة الواقعة، الآية" ٧٥، ٧٦".

(٢) تفسير السمعاني، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (٥/ ٣٥٨) .

وحاول الإمام الفخر الرازي تفسير المراد منها فقال: (مواقع النجوم ما هي؟ فنقول: فيه وجوه الأول: المشارق والمغارب أو المغارب وحدها، فإن عندها سقوط النجوم، الثاني: هي مواضعها في السماء في بروجها ومنازلها، الثالث: مواقعها في اتباع الشياطين عند المزاحمة، الرابع: مواقعها يوم القيامة حين تنتثر النجوم، وأما مواقع نجوم القرآن، فهي قلوب عباده وملائكته ورسله وصالحي المؤمنين، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها)[1].

ويلاحظ على تفسير الإمام الفخر الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ)،أنه حاول الجمع بين الأقوال التفسيرية والمعاني الفلكية الواردة في بيان المقصود من التعبير القرآني ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حسب ما توافر في عصره من المعارف الفلكية، وما نُقل إليه متواتراً من أقوال أعلام المفسرين في محاولة لتجلية المعني المراد دون ترجيح أحد الأوجه على بعضها؛ وذلك لندرة الحصيلة الفلكية حول هذه الآية الكونية والتي تؤدي إلى ترجيح بعض الأقوال على بعضها أو الحكم ببطلان بعضها دون غيرها.

وما نهجه الإمام الرازي تبعه فيه الإمام ابن القيم(المتوفى: ٧٥١هـ) في كتابه "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" بقوله: (أما قوله تعالى﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ففي مواقعها أقوال أحدها: أي انكدارها وانتشارها يوم القيامة وهذا قول الحسن والمنجمون يكذبون بهذا ولا يقرون به، والثاني: مواقعها منازلها قاله عطاء وقتادة والثالث: أنه مغاربها، والرابع:

(١) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة–١٤٢٠ هـ، (٢٩/ ٤٢٦).

أنه مواقعها عند طلوعها وغروبها حكاه ابن عطية عن مجاهد وأبي عبيدة، والخامس: أن مواقعها مواضعها من السماء وهذا الذى حكاه ابن الجوزى عن قتادة حكاه ابن عطية عنه) [1].

أقول: ويلاحظ على تلك التفسيرات والاستنباطات- وغيرها- مما ملئت بها أسفار علم التفسير وغيره من كتب التراث الإسلامي أنها- في معظمها- لا تعارض العقل أو تصادمه وقت القول بها، بل تدلل على سعة البيان القرآني لكافة ألوان العطاءات التفسيرية قبل اكتشاف الحقيقة العلمية، ومن ثم تبرز دقة التعبير القرآني في التدليل على المعارف الكونية باحترافية دعوية لا تصادم العقل البشري في أوقات غيابها، ولا تكذب الحقيقة العلمية أيان كشفها، بل يفيض عطاؤها ليشمل كل جهد علمي صادق يحاول تجلياتها، وهذا يؤكد على براعة اللفظ القرآني في عموم خطابه وشموله، واختياره أنسب الألفاظ وأدقها لتتناسب مع مستوى العقول البشرية وقت غيابها، وتتفق مع حقائق التخصص العلمي وقت ظهورها.

وإذا كانت هذه النقول- السالفة الذكر-وغيرها تشير إلى محاولات علمية جادة لتفسير هذه الظاهرة الفلكية فيما ورثّه التراث الإسلامي من نتاج علمي يدور حول الارتشاف من عطاءات القرآن العلمية فيما يتعلق بهذه الحقيقة الفلكية، فإن علم الفلك الحديث- بحكم التخصص- قد أفاض في بيان جوانب هذه الحقيقة العلمية بما يؤكد على إعجاز البنية اللفظية القرآنية

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون، (٢/ ١٩٢).

في عرض الحقائق الكونية بما يتوافق مع العقل ولا يصادم العلم، بل يؤكد أن خالق الكون المنظور هو منزل الكتاب المسطور .

ثانيا: مواقع النجوم في بينات علم الفلك الحديث:

من المعلوم أن معرفة مواقع النجوم واكتشافها لم يكن بالأمر الهين الذي يسهل تحديده أو الجزم به، بل احتاج هذا الكشف العلمي لعمليات معقدة وأطوار من المراقبة العلمية المستديمة للنجوم في مسارتها على مدار فترات زمنية طويلة ومتعددة وبأجهزة فلكية متطورة تناسب حجم هذه المهمة المذهلة وعظيم خطرها، وهذا لم يكن بدوره متاحاً في دراسات ومراصد علم الفلك إلا من فترات قريبة جداً؛ ولعل ما يؤكد صعوبة مهمة التحقق من هذه الحقيقة الفلكية، ما ثبت في تاريخ علم الفلك من لجوء العلماء إلى طرق علمية متعددة في إطار المحاولات المعرفية الجادة والحثيثة .

لمعرفة مواقع النجوم وأبعادها، منها ما كان معتاداً وهذا ما ذكره د/محمد باسل الطائي[١] في كتابه "خلق الكون بين العلم والإيمان" حيث قال: (إن الطريقة الفلكية المعتادة لقياس أبعاد النجوم تعتمد على مبدأ "المنظور"

---

(١) هو الدكتور/ محمد باسل الطائي: أحد العلماء البارزين العاملين في الفيزياء النظرية الكونية، ولد عام١٩٥٢م بالعراق، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة مانجستر (بريطانيا) عام ١٩٧٨م، نشر له عدد من الأبحاث الرصينة في مجلات علمية عالمية، وأشرف على عدد من رسائل الدراسات العليا في جامعة الموصل، له عدة كتب في مجال الفيزياء الفلكية" ككتاب" مدخل إلى النظرية النسبية الخاصة والعامة" وكتاب" صيرورة الكون (مدارج العلم ومدارج الإيمان) وغيرها، ويعمل أستاذاً الفيزياء الكونية بجامعة اليرموك–الأردن. المرجع/ خلق الكون بين العلم والإيمان، المؤلف: د/محمد باسل الطائي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى–١٤٨١هـ=١٩٩٨م، ص١٧٠.

والذي يعني تغير الاتجاه الظاهري للنجم منظوراً إليه من مواقع مختلفة على مدار الأرض حول الشمس، أي قياس ميل النجم على مستوى دوران الأرض حول الشمس، أو قياس ميل النجم على مستوى دوران الأرض حيث يتم قياس زاوية الميل في أبعاد محددة ومقادير معينة لمعرفة أبعاد النجوم القريبة، وفي حالة النجوم البعيدة جداً تستخدم طريقة أخرى يدخل فيها حساب القدر الضوئي للنجم ويقارن مع مثيله الذي تعرف مسافته بالقياس المنظوري، ثم تستخدم طريقة القدر الضوئي للمقارنة...)[١].

ومنها ما اعتمد على الحسابات الرياضية والفيزيائية المعقدة، فقد(لجأ بعض علماء الفلك إلى أخذ صور فوتوغرافية متتالية للنجوم في بروجها ومساراتها على مدار فترات زمنية بلغت بضع سنين، ووجدوا أن مواضع النجوم بالنسبة لبعضها تتغير وتختلف باختلاف الأوقات؛ وهذا يدل على أنها في حركة مستمرة، ولكن رؤيتنا لها بالعين المجردة في حالة ثبات لا يبرر عدم حركتها لبعدها الرهيب عن الأرض، ويقدر العلماء حركة النجوم في مساراتها بسرعة متوسطة مقدارها ٢٠كيلو متر/ ثانية، وأن لكل منها سرعة خاصة بالنسبة لبعضها البعض)[٢].

ومع تقدم الأجهزة البحثية واختراع أجيال متطورة من المراصد الفلكية تطورت المحاولات العلمية الحثيثة والرامية إلى معرفة حقيقة مواقع النجوم وأبعادها، وكان من بينات ذلك(ما قام به بعض علماء الفلك الغربيين في أوائل القرن العشرين للتعرف على بعد النجوم ومواقعها، واستخدم الطريقة

---

(١) يراجع/ المرجع السابق، ص٦٣، ٦٤.

(٢) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، المؤلف: د/ عمر سليمان قوش، دار الحرمين – الدوحة –ط١– ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م، ص١٢٨.

الفوتوغرافية لتصوير النجم من موضعين متقابلين في مدار الأرض حول الشمس للحصول على ما يسمى "بزاوية اختلاف المنظر"، تماما كما نقيس زاويتي قاعدة مثلث لنعرف منها زاوية الرأس، ولكن هذه الطريقة لا تجدي إلا في قياس حدود مسافة لا تزيد عن ١٠٠ سنة ضوئية، ولهذا لجأ العلماء إلى قياس لمعان النجوم لحساب بعد النجم بمعادلات خاصة ومعقدة، بالإضافة إلى الاستعانة بالمراصد المحمولة في الأقمار الصناعية التي تدور في الفضاء في العشر سنوات الأخيرة للكشف عن مواقع النجوم وغيرها من الظواهر الفلكية الدقيقة، ولقد ساعدت الأجهزة المتقدمة بجميع المراصد الفلكية الحديثة على تحقيق وثبات معرفية ملموسة في معرفة حركة النجوم ومواقعها في الفضاء الكوني)[١].

أقول: وبعيداً عن سرد تلك المحاولات العلمية المعقدة والتي تتطلب أجهزة فلكية متقدمة، والتي تشير إلى عظم هذه الحقيقة الفلكية ودقتها، فإن المعنى العلمي والحقيقي لما تشير إليه جملة ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ يؤكد على(أن هذه المواقع نسبية وليست مطلقة، فالنجوم تجري في الفضاء الكوني بحركة ذاتية علاوة على أن الضوء القادم منها يعبر عن الماضي، وليس الحاضر لدرجة أن بعض النجوم التي نراها الآن تسطع في السماء، لا وجود لها في السماء ؛ لأن آخر شعاع خرج منها جاء ليعلن لنا عن خبر وفاتها الذي لم يصل إلينا بعد!، كما أن المسافات الكونية المقاسة بين النجوم نسبية وليست مطلقة، فمثلاً إذا قدرنا المسافة بيننا وبين مجرة معينة ببليون سنة ضوئية، فإن المعني العلمي لذلك: أن هذا القياس يدل على موقعها منذ بليون سنة،

(١) يراجع/ الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المؤلف: د/ محمد منصور حسب النبي، ص٢٧٦، ٢٧٧.

فأين كانت هذه المجرة لحظة صدور هذا الضوء منها؟ وأين كنا نحن منذ بليون سنة؟ وأين موقع هذه المجرة حالياً؟ نحن طبعاً لا نعرف بالتأكيد؛ لأننا لا نرى النجوم إلا بضوء أثري قديم صادر منها في لحظة الماضي البعيد، فأين هذه النجوم الآن؟ هذه حقاً أسئلة منطقية معقد وعلمية محيرة تحتاج إلى بذل المزيد من البحث الفيزيائي والرياضي الفلكي لتحديد الموقع الفعلي للنجوم في الفضاء وتحديد سرعتها كرموز يلهث العلم حتى الآن وراء معرفتها، ومن كانت عظمة التعبير القرآني بالمواقع دون أماكن وجودها حيث يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(١)) (٢).

إن دقة التعبير القرآني في الإقسام بمواقع النجوم في هذا الموضع دون الإقسام بها في موضع آخر، لهو تعبير بلاغي ذا بعد علمي قوي الإيحاء بعظمة العطاء العلمي للفظ القرآني الذي يفرق بين حالتين للنجوم، الأولى: تنصب على ما صدر منه من أضواء صادرة في أزمنة غابرة تشير إلى ماضيها السحيق الذي لم يسجل ولم يعرف وهو ما يسمي بمواقع النجوم، والثانية: ما يكون من حركة النجوم الوهمية في الوقت الحالي وهي حركة خادعة تشير إلى عدم وجودها وفناءها في الآفاق، بما يؤكد على الفرق الشاسع بين الحالتين وما يترتب عليها من نتائج علمية، وهذا بدوره يبرز قيمة التعبير القرآني المعجز في مجال التخصص الفلكي والذي راعى مستوى العقلية الإنسانية وحدود إمكانيتها العلمية في علم الفلك وقت نزوله

(١) سورة الواقعة، الآية" ٧٥، ٧٦".

(٢) إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، ص١٦٥.

غير مغفل الحقيقة العلمية لمواقع النجوم في القرن العشرين، ومن هنا تتجلى(عظمة التعبير بمواقع النجوم فيها دلالة واضحة على بعدها الشاسع عنا مما يؤيد ثباتها الظاهري، كما تفيد المشاهدة العادية بالخبرة على سطح الأرض، حين ترى العين الأجسام المتحركة بسرعة والبعيدة جداً كأنها واقفة ساكنة غير متحركة، ولهذا تبدو النجوم لنا ونحن على الأرض كعلامات ثابتة في السماء أي ساكنة بالنسبة لبعضها ظاهرياً؛ لأننا لن ندرك حركتها الحقيقية الهائلة بالعين المجردة، ولأن الله- تعالى-جعل السماوات التي هي مقرها أعلى من أي ارتفاع يمكن تصوره في الذهن فأعطى سبحانه السبب بذلك على أن النجوم ترى لبعدها من الأرض كما لو كانت ساكنة-مع أنها نجوم متحركة وسابحة-) (١).

هذا.. وقد كشف علم الفلك الحديث-بحكم التخصص-عن جوانب علمية وبينات فلكية لهذه الآية الكونية تتجلى فيها دقة التعبير القرآني وعمق البعد العلمي وروعة العطاء الدعوي، ومن جوانب تلك الحقيقة الفلكية:

أولاً: بيان الأبعاد الحقيقية للأجرام السماوية الكاشفة عن طبيعتها وعمرها: فقد ساهم اكتشاف حقيقة مواقع النجوم في بيان حقيقة الأبعاد الكونية بين الأجرام السماوية على حقيقتها، أو عند تنقلها بين البروج المختلفة، وهو ما يشير إلى المعلومات الأساسية المحددة لأعمار النجوم وطبيعتها وقوة طاقاتها وغير ذلك،(فمواقع النجوم تشير إلى أبعادها، وبُعد النجم عن غيره أحد المميزات الأكثر صعوبة في تعيينها ليس هذا فحسب، ولكنه أيضاً الأكثر أهمية، فكل التغيرات التي تتناول النجم أثناء حياته يمكن

(١) المرجع السابق، ص١٦١، ١٦٢.

تعيينها من معرفة كمية ونوع الطاقة التي يشعها، ولكن كمية الطاقة التي يشعها نجم في الفضاء لا يمكن معرفتها إلا إذا عرف بعده وموقعه)[1].

وبهذا فإن الإشارة القرآنية إلى أبعاد النجوم بالمواقع تعطي العقل البشري والفكر الإنساني الدوافع المشروعة للبحث والتأمل والفكر في بينات هذه الآية الكونية؛ إذ لو ذكرت هذه الحقيقة العلمية بتفاصيلها العلمية؛ لصادمت العقل البشري وقت نزول الوحي الإلهي لعدم اكتشافها، ولقتلت فيه دوافع البحث والتأمل بتفصيلها، ولتحول القرآن من معين للهداية الإلهية في مجالات إرشاد الحياة الإنسانية إلى ما هو أقوم في دينها ودنياها وعلومها وأخلاقها، إلى كتاب علمي يصبغ بلون فكري معين يهدف إلى بيانه ويسعى إلى تبيانه، وهذا بدوره يصادم هداية القرآن الشاملة ويتعارض مع معين جوامع اللفظية الجامعة التي تعجز العقل البشري في مجال معارفه، وتهدي الفكر الإنساني إلى ما هو أقوم في ألوان علومه المتطورة وتهدي إلى الحقائق الدامغة في بينات أبحاثه المتعمقة.

ثانياً: إن مواقع النجوم تشير إلى الكثير من الجسميات السماوية التي لم تكشف بعد؛ ذلك لأن المكتشف من خلال علميات الرصد والتتبع التي تجريها التلسكوبات والمراصد الفلكية المتخصصة يقتصر أمرها على تحديد طبيعة ما تم رصده وقت الرصد لا وقت التكوين والخلق، وعليه (فإن هناك الكثير من النجوم التي لا يعرف عنها العلم شيئاً حتى الوقت الحاضر، ولم يستطع الفلكيون رؤيتها حتى باستخدام ما ابتكره العلماء من أحدث وأكبر المراقب الفلكية على اختلاف أنواعها وتعدد وظائفها ومهامها كالتي توجد

(١) يراجع/ الكواكب والنجوم والمجرات، المؤلف: د: عبدالمنعم السيد عشري، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب– ١٩٨٣م، ص ٢٦٥

في مرصد جرينتش الفلكي بإنجلترا، أو المرصد الفلكي في كاليفورنيا، أو حتى عبر أسلوب المراصد اللاسلكية المتطورة التي تجعل أبعاد النجوم بواسطة الموجات اللاسلكية الإشعاعية الردارية بدلاً من الضوء، وصدق الله العظيم حيث يقول:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(١)) (٢).

ويشير إلى هذه الحقيقة العلمية الدكتور/ جمال الدين الفندي بقوله:(إن التركيب الأساسي لمادة الكون ما زال مجهولاً.. وإن نهاية البناء المادي للكون لا حدود له، بحيث يمكن أن يدركه البصر البشري سواء في النهاية الدنيا ممثلة في اللبنات التي تبني منها ذرات النجوم والكواكب، أو النهاية العظمى ممثلة في حدود الكون وما نطلق عليه أشباه النجوم "الكوازار" وهي: مجرات تضم بلايين النجوم، ومع ذلك تبدو من فرط بعدها أنها مجرد نقط مضيئة في كبد السماء ولا نتعرف عليها بالمناظير البصرية ولكن بالمناظير الفلكية العظيمة والحديثة، وصدق الله العظيم: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾، وعندما نتذكر ذلك ونتمعن في مضمونه، نستطيع فهم المراد من قوله تعالى:﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(٣) (١).

---

(١) سورة الواقعة، الآية" ٧٥، ٧٦".

(٢) من الإعجاز العلمي في القرآن في ضوء الدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية" الجزء الأول " مع آيات الله في السماء" نقلاً عن الموسوعة العلمية الحديثة، المؤلف: د/ حسن أبو العنين، الناشر: مكتبة العبيكان- الرياض- ط١- ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ص١٠٨، ١٠٩.

(٣) سورة الملك، الآية "٤".

ومن هنا فإن البحث المتعمق في مسألة "مواقع النجوم" يفتح آفاقاً رحبة للفكر الإنساني وباباً علمياً جديداً يبين له حدوده الدنيا أمام قدرة قاهرة وعظمة إلهية مسيطرة تكشف له من بينات فعلها وآيات صنعها ما يؤكد مع وثبات العلم المتلاحقة مدى العجز البشري أمام السلطان الإلهي الذي خلق الكون في بحار من القوانين المحكمة والآيات العلمية المذهلة.

ثالثاً: تساهم معرفة ظاهرة "مواقع النجوم" في المساعدة في فهم أدق وأعمق لظاهرة" التمدد الكوني" وتعين على بيان تفاصيل هذه الآية الكونية العظيمة، وهي إحدى الظواهر الفلكية التى تؤكد على عظمة وجلال الصنعة الربانية، فلقد (تبين علمياً أن هذه المواقع نسبية وليست مطلقة ؛ نظراً لتحرك المجرات بسرعات هائلة في الفضاء الكوني مع تناسب ذلك طردياً في بعدها عنا في إطار ما يعرف بعملية التمدد الكوني، ذلكم الظاهرة الكونية العظيمة التي تخضع في بيان لعدة شواهد كونية وظواهر فلكية معقدة ومترابطة) [٢].

هذا.. وقد كان للبحث في هذه المسألة الفلكية دور عظيم في التطور العلمي في أجهزة قياس المسافات الكونية بين الأجرام السماوية، فنتيجة لفرط المسافات الكونية بين النجوم وضخامتها، وسرعتها العظيمة في الفضاء الكوني تم اختراع وسائل قياس جديدة تتناسب مع هذه المسافات الهائلة وتقيس–بدقة–سرعتها غير مغفلة الفارق بين القياسات في المحيط الأرضي والأبعاد في الفضاء الكوني، وهذا (ما دعا علماء الفلك في بداية

==

(١) مع القرآن في الكون، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب– ١٩٩٢م، ص٥٨.

(٢) إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، ص١٦١، ١٦٢.

القرن الماضي عند تفكيرهم في قياس أبعاد النجوم إلى اختراع وحدة قياس كونية لقياس المسافات بين الأجرام السماوية فاتفقوا بداية على أن تكون الوحدة الفلكية لقياس المسافة بين الأرض والشمس هي(الميل) وبالفعل تم قياس المسافة بينهما لتكون النتيجة أنها تساوي ٩٣ مليون ميل، وعندما تقدم القياس في هذا القرن ومع اكتشاف أبعاد جديدة لعالم الفضاء احتاج العلماء لوحدات أكبر لقياس المسافة الشاسعة لبعد النجوم، فاتفقوا على ما نسميه الآن بالسنة الضوئية،وهي:" المسافة التي يقطعها الضوء بسرعته المعروفة ١٨٦٠٠ميل/ثانية أو ٣٠٠٠٠٠ كليو متر في الثانية" في مدة مقدارها سنة ضوئية كاملة) (١).

أقول: إن العطاء العلمي للفظ القرآني لا يساهم في تجلية الحقائق العلمية وكشفها فحسب، بل يعد مفتاحاً لتطوير وسائل البحث العلمية وارتقاءها، بما يعطيه من مداد بحار ألفاظه من ومضات علمية متحققة، وإشارات كونية صارت متيقنة تؤكد على حقيقة أن الكثير من الحقائق الفلكية ما زالت في عالم الغيب الإلهي وأن الإنسان مطالب بمزيد من البحث والاجتهاد للوصول إلى هذه الحقائق التي تثبت مدى قصور العلم البشري رغم وثباته المتعددة أمام الخلق الإلهي، وأن عطاء الكون ما زال بكراً يحتاج إلى تكاتف الهمم وتكامل الجهود من أجل تجلية ظواهره المعجزة واستخدامها في صنع الحضارة الإنسانية بموازين علمية تحاكي إبداع الصنعة الإلهية وتتلمس الطريق الأقوم للحفاظ على مكتسباتها والمنهاج

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، ص٢٧٣، ٢٧٤، ويراجع/ الله والكون، المؤلف: د/ جمال الدين الفندي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص٢٧٠.

الأمثل لاستثمار طاقات هذا الكون المدفونة وتعظيم الاستفادة من مواردها المخبئة.

رابعاً: إثبات مدى قصور حدود العلم البشري في ملكوت آفاق الفضاء الكوني: فمن عطاءات التعبير الإلهي بمواقع النجوم الكشف عن ضعف الكيان الإنساني أمام عظمة الخلق الرباني، فالله تعالى أقسم في كتابه فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]، وهذا القسم يؤكد على أن هناك عوالم ما زالت خفية عن ملكات البصر البشري مهما تقدم أو استعان بوسائل ليصل بها إلى إدراكها أو الاقتراب من آفاقها، ويؤكد على ذلك الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم[2]، بقوله:(إن حاسة البصر للإنسان لها حدود لا تتعداها، ولذلك فقد اخترع العلماء في العصر الحديث الميكروسكوب

(١) سورة الحاقة، الآية" ٣٨، ٣٩".

(٢) الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم: تخرج من كلية الطب(جامعة القاهرة عام ١٩٥٢م)، وحصل على عضوية كلية الأطباء الملكية(لندن وأدنبرة عام ١٩٧٢م، كانت له أحاديث إذاعية حول إعجاز القرآن الكريم تذاع يومياً في إذاعة الكويت وإذاعات الخليج العربي منذ سنة ١٩٦٣م وحتى ١٩٩٣م، كان له برنامج تليفزيوني أسبوعي بعنوان(بين القرآن والعلم) في تليفزيونات الخليج العربي منذ عام ١٩٧٦م وحتى ١٩٩٦م، وهي ستون حلقة تليفزيونية (بين العلم والقرآن) استضاف في بعضها الشيخ محمد متولى الشعراوي، كان له حديث يومي(في رحاب آية) في إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة، له حلقات عديدة عن(الإعجاز العلمي) أذيعت في قنوات التليفزيون المصري، له العديد من المحاضرات واللقاءات والمقالات والندوات عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم منذ عام ١٩٧٥م، شغل منصب رئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. يراجع/ غلاف كتاب أطوار الخلق وحواس الإنسان (موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شئ" المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة، المؤلف: أ.د/ أحمد شوقي إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة– ط١– ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

الإلكتروني الذي يكبر الصورة آلاف المرات في محاولة للاطلاع على عوالم الذرات والجزيئات وغيرها من العوالم الدقيقة، وبالرغم من ذلك فإن هناك حقيقة مطلقة تعلمنا أن بالكون أشياء مادية لا نبصرها، بل ويستحيل علينا أن نبصرها، مهما اخترعنا من آلات بصرية أو مناظير معملية. فكيف يكون ذلك؟ والجواب: إن هناك بالسماء أجراماً ننظر إليها ونعتقد أننا نبصرها ولا نشاهدها، ونطالع من خلال التلسكوب الفلكي نجوماً تتلألأ في السماء ونعتقد أننا نشاهدها، لكن العلم يقول لنا أننا لا نشاهدها ولا نبصر منها شيئاً، ولكن كيف ذلك؟ وما هو الحل لهذا اللغز العلمي؟، والجواب بإيجاز لا يخل بالمعني العلمي: إن المرئيات بشتى أنواعها، تصدر عنها أشعة ضوء صادرة إلى عيوننا فنراها، ولا يمكن أن نرى المرئيات إلا إذا وصلت أشعة الضوء منها إلى عيوننا، وقد قدر العلماء سرعة الضوء بنحو ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية الواحدة أي ثمانية عشر مليونا من الكيلو مترات في الدقيقة الواحدة، أو ألف مليون كيلو متر في الساعة الواحدة، فإذا كان كوكب من الكواكب يبعد عن كوكب الأرض ألف مليون متر، فإننا نشاهد- ونحن على الأرض- صورته بعد ساعة كاملة من صدورها منه، بمعنى أننا نشاهد- إذا نظرنا إليه الآن- الصورة التي كان عليها منذ ساعة مضت، فإذا كان الكوكب الذي ننظر إليه في التلسكوب بعيدا جداً مثل كوكب بلوتو فإننا نرى صورته التي كان عليها منذ خمس ساعات مضت، فنحن نراها بعد خمس ساعات مستقبلاً، أما النجوم فهي أبعد كثيرا من الكواكب عنا، فهي تبعد عنا بالسنين الضوئية، والصور التي تصل إلينا هي التي كانت عليها منذ سنوات مضت، وهنا كانت عظمة القسم الإلهي بمواقع

النجوم دون النجوم نفسها، :﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(١))(٢).

وفي إثبات ذلك تأكيد واضح على مدى العجز الإنساني الواضح رغم تقدم وسائله وتطور علومه أمام بينات الخلق الإلهي، وأن الإنسان مهما وصل في معارج العلوم من وثبات فإن علمه محدود و عجزه مشهود؛ فإذا كانت هذه آية من آياته الكثيرة في الآفاق يقف أمامها الإنسان خاشعاً خاضعاً لقدرة الله بما شملته من بيان عظمة إحاطة الربوبية بما في عوالم السبع الطباق، فما بال الإنسان بما خفي عن علمه وغاب عن بصره من عظيم الآيات الكونية التي تنطق بعظمة خلقها وتدلل بدقة صنعها على قدرة خالق الأكوان فيما نزل وظهر من تعبيرات القرآن، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣).

خامساً: لمواقع النجوم دور هام في الكشف عن أهم وأعظم القوانين الكونية التي يقوم عليها البناء السماوي في انتظام اجرامه، وتناسق أجزائه، فهي(تلعب دوراً هاماً في حساب قوة التجاذب بين الأجرام السماوية، والتي

---

(١) سورة الواقعة، الآية" ٧٥، ٧٦".

(٢) أطوار الخلق وحواس الإنسان (موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شئ" المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة، المؤلف: أ.د/ أحمد شوقي إبراهيم، ص١٦٩ وما بعدها بتصرف كبير، ويراجع كتاب/ القرآن والعلم الحديث، المؤلف: د/ عبد الرزاق نوفل، الناشر: دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، ص١٧٦،١٧٥، يراجع/ التوحيد، المؤلف: عبد المجيد عزيز الزنداني، الناشر:دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط١٠،١٤١٠هـ=١٩٨٩م، (٣٨/٣).

(٣)سورة فصلت، الآية" ٥٣".

بدورها تتناسب عكسياً مع مربع المسافة بين الأجرام وطردياً مع حاصل ضرب كتلتها... فالآية الكريمة﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ*وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[١] تبدو كما لو تشير إلى قانون الجذب العام، فالمواقع دلالة على المسافة والنجوم دلالة على الكتل الضخمة التي يظهر معها التجاذب العام) [٢].

وبمعرفة هذه القوانين الكونية يتجلى للعلم التجريبي عظمة الخلق الإلهي وتكامل أنظمته وإحكام قوانينه في إبداع الكون وخلقه وتسير أجرامه بعظيم الحكمة وتمام المنة، وهذا بدوره يكشف عن القدرة العلية التي صنعت فأتقنت وخلقت فأبدعت وفطرت فأحكمت، وأعطت لكل شيء خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين.

ويلخص الدكتور محمد راتب النابلسي ثلة مما مر تفصيله من جوانب هذه الحقيقة العلمية في سؤال علمي يبرز فيوضات مداد الإعجاز اللغوي للنص القرآني والظاهر في دقة التعبير ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾–حيث يقول:(والسؤال المطروح: ما مواقع النجوم المذكورة في هذه الآية؟ لهذه المواقع معان ثلاثة:.

المعنى الأول: أن بين النجوم مسافات يستحيل على العقل تصورها، فبين الأرض وبعض المجرات على سبيل المثال عشرون ألف مليون سنة ضوئية، فإذا علمنا أن الضوء يسير في الثانية ثلاثمائة ألف كليو متر، فكم يسير في الدقيقة؟ هذا العدد الكبير ثلاثمائة ألف مضروب في ستين، فكم

---

(١)سورة الواقعة، الآية" ٧٥، ٧٦".

(٢) يراجع/ إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، ص١٦٥.

يسير في الساعة إذا؟ وكم يسير في الشهر وكم يسير في السنة؟ فمثلاً بين الأرض والقمر ثانية ضوئية ونيف، أي ثلاثمائة وستون ألف كليو متر، وبين الأرض والشمس ثماني دقائق، أي مئة و ستة خمسون مليون كيلو متر، وغير ذلك وهذا المعني الأول.

المعني الثاني: أن هذه النجوم ليس لها موقع واحد، بل لها مواقع، إذاً فهي نجوم متحركة، وكل نجم يسبح في فلك خاص به مصداقاً لقوله تعالي:﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١)، إن كلمة(بمواقع) في الآية هي سر إعجازها، فالموقع لا يعني أن صاحب الموقع موجود فيه، فالله- تعالى- لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم، لكنه أقسم بالمسافات التي بين مواقع النجوم، ذلك لأن النجوم متحركة، وليست ثابتة، ولو قرأ عالمُ فلك منصف هذه الآية لخر ساجداً لله-عز وجل-ولذا قال تعالى بعده :﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾، فكل نجم له مواقعه الخاصة به، وله مدار يدور فيه، وهذا الموقع يتغير كل ثانية، ومن هنا كانت أدق ساعات العالم تضبط على مواقع بعض النجوم، فهذه المواقع وفق نظام عجيب، وفي كل ثانية يكون للنجم موقع جديد.

المعنى الثالث: الإشارة إلى قوى التجاذب بين النجوم، فالكتلة الأكبر تجذب الكتلة الأصغر، وثمة عامل آخر هو مربع المسافة بينهما، فلو أن مواقع النجوم تغيرت لاختل توازن الكون، وارتطمت النجوم ببعضها، وأصبح

(١) سورة يّس، من الآية" ٤٠".

الكون كتلة واحدة، فهذه المواقع مدروسة بعناية فائقة؛ حيث يكون محصلها دوراناً واستقراراً) (١).

فالمعاني–السالفة الذكر–تشير إلى بعض الأوجه العلمية المستخلصة من دراسة هذه الآية الكونية، سواء كان ذلك يتعلق بتحديد حساب المسافات بينها، أو وصف دقة التحركات في مداراتها، أو بيان القوانين الكونية العاملة على المحافظة على أوضاعها في البناء العلوي، وانتظام حركتها في التنقل السماوي، وكلها ومضات علمية تميط اللثام عن غيض من فيض بدائع الخلق الإلهي في خلق ملكوت الأكوان.

وبهذا فإن هذه الأوجه العلمية تثبت عظمة الإعجاز الرباني في إثبات هذه الحقيقة الفلكية في سياق لفظي بديع يذخر بوجودها في ألفاظ مبانيه الجامعة، و يفيض بمدادها– عند اكتشافها– من بطون معانيه الواسعة، والتي تثبت عظمة العطاء الرباني المتمثل في مداد البشرية في أجيالها بما يتناسب مع مستوى تفكيرها وحدود إمكانياتها، بما يرشد البشرية إلى أسلوب القرآن الكريم الأخاذ في عرضه للحقائق العلمية بطريقة احترافية لا تتأتى من عقلية بشرية مهما كان كاملها، أو بحوث علمية مهما بلغت في تقدمها وسبقها، ذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد

من الأبعاد الدعوية المستخلصة من وراء هذه الآية الكونية :

بعد هذا العرض العلمي لجوانب من فيض مداد هذه الآية الكونية، وما كشفت عنه من دلائل إلهية في دقة التعبير اللفظي في التدليل على السبق

(١) يراجع/ آيات الله في الآفاق" موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: د/ محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي للطباعة النشر والتوزيع–دمشق– سوريا، ط٢، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م، ص٦٥، ٦٦.

العلمي للنص القرآني، يمكنني القول: إن هناك مجموعة من الأبعاد الدعوية المستخلصة من وراء بيانها والحديث في تفاصيلها، ومنها:.

أ. الإشارة إلى أنه ينبغي على علماء التفسير المعاصرين إعادة النظر فيما وُرّث من تراث تفسيري نفيس للنص القرآني العزيز في ضوء ما تم كشفه من الحقائق الكونية الثابتة والمعطيات العلمية المتيقنة، والتي تشير إلى دقة اللفظ القرآني المعجز، وتظهر تجدد عطائه العلمي المذهل، وتناسبه مع المستوى العقلي للتطور الإنساني في الميدان العلمي بمختلف مجالاته؛ بما يؤكد بطريقة قاطعة على قدرة النص القرآني على فيض العطاء المتجدد الذي يخترق حدود الزمان ويتوافق مع مستوى فكر الإنسان؛ بما يقيم البينة الصادقة على خلود الذكر الحكيم وتعاطيه مع حاجات الأولين والآخرين؛ بما لا يصادم المستوى العقلي وقت نزوله، ولا يكذب الكشف العلمي وقت استجلاء بيناته.

وبهذه التنقية العصرية للتراث التفسيري فيما يتعلق بهذا الإعجاز العلمي الذي يتفق مع دقة التعبير القرآني، يتضح أهمية استجلاء المعاني العلمية للمعارف الكونية كطريق من الطرق الذاتية المهمة لتنقية التراث التفسيري وتصفيته من الآراء التفسيرية التي تخالف ما تم كشفه من حقائق علمية في العصر الحديث، والناتجة عن جهود فكرية صادقة تولدت من قدح أذهان علماء الإسلام السابقين وأقيمت على أصول ثابتة من تحليل النص في إطار المعاني العلمية التي توافرت في زمانهم؛ ليستعينوا بها في تجلية جوانب النص القرآني وآفاقه خدمة له وحرصاً على تجلية سلالة من أسراره في ضوء المعطيات العلمية المتوافرة في عصرها.

وتلك التنقية التفسيرية والمرتبطة بالمعارف الكونية الثابتة تعد برهاناً علمياً وشاهداً علمياً يذكر علماء الأمة في كل زمان ومكان بضرورة الرجوع

إلى معين القرآن الفياض والاجتماع حوله والارتشاف من منابعه التي لا تنضب، بل تعطي لكل طالب صادق سُؤْله بقدر صدق إقباله وهمة بحثه وإعماله، ولذا كان القرآن- ولا زال وسوف يظل- ولما لا هو (الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ) (١)، ومن ثم فإن القرآن هو دائرة المعارف العلمية الكاملة والموثوقة التي تعطي للبشرية ومضات فكرية مستوية على سوقها تقودها نحو طريقها المنشود لإعمار الكون بالعلم النافع والعمل الصالح.

ب. غزارة العطاءات العلمية التي تفيض بها أوعية الآيات القرآنية؛ بما يؤكد على تجدد ألوان الإعجاز القرآني وشموله للمعارف العلمية المستحدثة، وأن هذا الإعجاز القرآني لا يتوقف عند جمال التعبير ودقته، ولا دقة التصوير وعمقه، ولا إخباره عن عهود ماضية طويت في أعماق التاريخ البشري الماضي، بل في تحديه لعلوم مخترعة ومعارف مستحدثة تأتي من المستقبل، لتشهد أمامه بعجزها رغم عظمة معطياتها، فياله من إعجاز يخترق حدود الزمان بمراحله، ويتحدى علم البشرية بمجامعه ومدارسه، ويتفوق عليه بتتابعه وتطوره.

ت. إن القسم الإلهي ببعض مخلوقاته- كما جاء في ثنايا القسم بمواقع النجوم- فيه إشارة قوية الإيحاء واضحة الإيماء إلى عظم تلك الآيات الكونية، وإلى ضرورة البحث العلمي والإعمال الفكري في هذه الدلائل القرآنية وأبعادها العلمية، والتي تثير الانتباه والتفكير لاستجلاء معين أسرارها

---

(١) أخرجه الترمذي، (٢٩٠٦)، وقال: حديث غريب، والدارمي (٣٣٣١)، وأحمد في مسنده ١/ ١٩ .

المكنونة واستخراج حقائقها الكونية المدفونة، والتي بدورها ترسم طريقاً عملياً يعطي للعلم البشري معلومات قطعية بعيدة المدى لتفسير الكون وتأويل ظواهره؛ بما يضمن حسن توجيه الطاقات البشرية نحو مجالات عظيمة ترتقى بالفكر الإنساني وتفتح أمامه أبواب كنوز حضارية لازمة لتطور حضارته والحفاظ على مكتسباته، بل أخذها بيده لطرق أبواب غائبة من عالم الشهود ليصل من خلال دراستها وبحثها إلى آفاق رحبة من أنوار عالم الغيب والملكوت؛ ليوقن بنفسه بالحقيقة التي لا تنكر، والبينة الواضحة التي لا تغفل:﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

(١) سورة آل عمران، من الآية" ٩١".

المبحث الثالث

الحبك الكوني بين الجمال والجلال.

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: صورة الفضاء الكوني في التصور العلمي القديم

المطلب الثاني: النسيج الكوني بين تعبير القرآن واكتشافات علم الفلك الحديث.

المطلب الأول:

صورة الفضاء الكوني في التصور العلمي القديم

معلوم أن الفضاء الكوني بقوانينه الإلهية المحكمة، وآياته الفلكية المعجزة، تلك التي تم التعرف على الكثير من تفاصيلها في العصر الحديث، وكشف اللثام عن العديد من حقائقها لم تكن بتلك الصورة العلمية الواضحة الآن في أروقة علم الفلك، بل احتاج التوصل إليها لأطوار من الارتقاءات العلمية ومراحل متسلسلة من الوثبات البحثية والتي بُذل في سبيل تحقيقها الكثير من الجهود والأعمار، لتتكامل تلك الجهود وتتضافر في بناء علمي متوارث بحلقاته وتجاربه وفرضياته وأغراضه؛ لتجلى آيات الأكوان وتكشف عن بدائع خلق الله المكنونة في عطاءات القرآن.

وإن الذي يراجع تاريخ البشرية ليجد أن البحث عن صورة الكون وآفاقه والتعرف على بدائعه العلوية وأبعاده، كان أمنية تقاسمتها الشعوب والأمم– التي لم تعتمد على وحي إلهي معصوم أو كفرت به أو حرفته– منذ فجر التاريخ البشري لكسر جدار الهيبة والرهبة من الظواهر الطبيعية التي تحدث أمام البصر البشري، وتسيطر في غموضها على ملكاته الفكرية وأنماط تفكيره الخيالية في محاولة الوصول لتفسيرها بقدر يقنع العقل ويرضي غريزة النهم الفطري عند الإنسان في الوصول إلى المجهول وتفسيره، بل كان الكثير من الشعوب(في الزمن الماضي لا ترجع الظواهر الطبيعية عموماً، والفلكية خصوصاً لأسباب حصولها الحقيقية؛ وذلك لأنها لم تكن تدري شيئاً عن طبيعية الكون أو تعرف معلومات موثقة عن عوالمه الغريبة وآفاقه العلوية البعيدة، وكل ما كان يعرف الإنسان في الأزمنة السحيقة عن تلك الظواهر الكونية ينحصر فيما يراه بعينيه أو يتحصل عليه بأدواته البسيطة، مثل الشمس التي تشرق صباحاً وتغرب مساء، والقمر يضئ السماء بضوئه

الخافت، والنجوم لا تبرح أماكنها في السماء ليلة بعد أخرى. وكانت كل أفكار الإنسان موجهة نحو ابتداع الأساطير ونسج الخيال سعياً لتفسير الأسباب الخفية التي تتحكم فيما يراه من ظواهر كونية)[١].

وبعيدا عن تفصيل ألوان من المعتقدات البشرية لدى الحضارات القديمة حول أسباب حصول الظواهر الكونية والأساطير المحيطة بها، فإن من الثابت أن الإنسان على مر العصور لإشباع هذا النهم الفكري في تفسير الظواهر الكونية بوجه عام والفلكية على الخصوص وبيانها، ومن ثم انطلقت القريحة الإنسانية تضع الاحتمالات وتصنع التصورات وتطلق العنان للفكر للتخيلات علها أن تجد في ذلك ما يشفي غليلها أو يرضي غرورها، وكانت صورة الكون جزءاً من هذه التصورات، ومع هذه النظرة السطحية والمستندة إلى الرؤية البصرية لما يظهر لها من الظواهر الفلكية، لم يتوقف البحث والدراسة لإيجاد تفسير مقبول للظواهر الفلكية التي تشغل الفكر الانساني وتلقى بظلالها على تفكيره، ومن ثم ظهرت محاولات أخرى أكثر جدية، ومنها ما قام به فلاسفة اليونان القدماء(فقد حاولوا وضع نموذج للكون على اعتبار أن أجرامه وعوالمه ليست آلهة– كما كان يعتقد البعض–وإنما الكون على صورة كرة هوائية نصف دائرية في وسط كتلة لا نهائية، أما السطح المقعر في هذه الدائرة فهو السماء والجزء المسطح فهو الأرض التي تشبه الاسطوانة المسطحة، وأما الكواكب فتعوم فوة المياه العليا، بينما ترتكز الأرض كلها على الماء الموجود أسفلها، وذهب أحدهم إلى أن النجوم عبارة عن دوائر ضخمة من الهواء المملوء بالنار، وتحيط

(١) يراجع/الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً، د/محمد باسل الطائي، ص١٤.

بالكرة الأرضية من جميع الجهات وأن الأجرام السماوية تدور حول الأرض التي هي مركز الكون) [١].

ومع هذه المحاولات الحثيثة لوضع صورة الكون بأجرامه وعوالمه من قِبل الفلاسفة، فإن علماء الفلك من القدماء مضوا في ركب هذا التوصيف المبني على التخيلات والافتراضات، ومن ثم فقد (اعتقد الفلكيون القدماء أن النجوم مثبتة في قبة سماوية تدور حول الأرض، ونظروا إلى الأفق وتخيلوا الأرض كالقرص المستدير تنطبق على حوافه القبة السماوية، وكأن السماء كرة تحيط بنا وتدور حولنا بما فيها من نجوم، ولقد أدى هذا التخيل إلى الفرض الخاطئ عن مركزية الأرض باعتبارها ساكنة في مركز الكون بينما جميع هذه الأجرام في القبة السماوية تدور حولها(ما عدا النجم القطبي) وأن حركة هذه الأجرام من الشرق إلى الغرب تعتبر حركة حقيقية ولبست ظاهرية! فالشمس تتحرك فعلاً من الشرق إلى الغرب كل يوم ! وظل هذا الاعتقاد الخاطئ سائدا في عموم الأوساط الفلكية منذ عهد اليونان عام ١٥٠ميلادي إلى بواكير الحركة العلمية الحديثة في الغرب في القرن السادس عشر الميلادي) [٢].

وكان من ألوان تلك التصورات التي اعتقدها أهل الفلك في القدم (أن المناطق المظلمة في السماء عبارة عن فراغات هائلة بين النجوم والمجرات، وأن هذه الفراغات خالية تماماً من كل أشكال المادة أي ليست فيها غازات

(١) يراجع/ الكون طريقي إلى الله، د/ عماد مجاهد، ص٣٧.

(٢) القرآن الكريم والعلم الحديث، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، ص٢٦٠.

أو أتربة أو أي مادة أخرى، واتفق منذ القدم على وجود فراغات وشقوق في السماء تصل إلى حوالي ٩٩% من المساحة الإجمالية للكون) [١].

ومما سبق ذكره يمكنني القول: إن الكشف عن حقائق الآفاق السماوية القريبة لم يكن بالأمر السهل عند علماء الفلك على مدار أطوار التاريخ الإنساني، بل احتاج إلى أحقاب زمنية مديدة سيطر عليها الخيال والأسطورة وخضعت في تفاصيلها لفروض ومعطيات تعتمد في القول بها على الرؤية البصرية أو القياسات الفلكية المفتقرة إلى الوسائل العلمية الدقيقة التي لا تناسب ما فطرت عليه هذه الظواهر من معطيات علمية تحتاج إلى أجهزة معملية متقدمة يُستعان بها لبيان عجائب خلقها وأسرار إبداعها وتهدي الباحثين إلى خلقها وإحكام صنعها وإبداع نظمها، ومن ثم فقد كان لتطور المراصد الفلكية والأبحاث التخصصية دور مؤثر في تغيير الكثير من تلك المسلمات في العصور السحيقة، وكانت مسألة الكشف عن طبيعة "النسيج الكوني" من المسائل الفلكية التي لم يكن الحديث عنها متداولاً حتى بدايات القرن العشرين؛ لقلة المعطيات المتعلقة بها والكاشفة عن طبيعتها والتي تم التوصل إليها بعد أبحاث فلكية مضنية اعتمدت على دراسات بحثية متقدمة تناسب طبيعة التقدم العلمي في مجال الفيزياء الكونية وأبحاث الفضاء في العصر الحديث.

(١) الكون طريقي إلى الله، د/ عماد مجاهد، ص١٩٢.

المطلب الثاني

النسيج الكوني بين دقة التعبير القرآني واكتشافات علم الفلك الحديث.

لا زالت صفحات الكتاب المنظور تزخر بشواهد كونية تحوي ألواناً من براهين العظمة الإلهية في إبداع الآفاق العلوية، وتنطق بلسان حالها، وتشير بعظمة خلقها إلى كمال الخلقة الإلهية لهذا الكون، وجمال الصنعة الربانية في إنشاء آياته المشهودة، وخلق عجائبه المنظورة التي تتكشف روائعها مع ارتقاءات العلوم الإنسانية، وتتجلى بدائعها بتقدم المعارف العلمية، وآية (النسيج الكوني) هي آية كونية جليلة القدر تكشف الغطاء أمام البصيرة العلمية عن مدى الإبداع الإلهي في نَظْم البناء السماوي وإحكام تماسكه، ودقة التناسق بين لبناته وأفلاكه بإعجاز منقطع النظير تتجلى في آياته صورة علمية متكاملة تفيض بألوان من طلاقة القدرة الإلهية المبدعة والعظمة الربانية المسيطرة.

وفي إطار إثبات هذه الحقيقة الفلكية وبيان جوانبها العلمية بما يقنع العقل البشري ويتوافق مع التفكير العلمي، لابد لكل باحث يريد تجلية عطاءات تلك الآية الكونية وبيان أبعادها الدعوية من طريقين، الأول: تعبيرات الوحي المعصوم "معين العلم المطلق ودوحة المعرفة الصادقة"، والثاني: ساحة علم الفلك بما تكشفه أبحاثه من معطيات علمية تخصصية متيقنة تجلى حقيقة هذه الآية الكونية وأبعادها العلمية، وبيان ذلك فيما يلي:.

أولاً: آية النسيج الكوني في المنطوق اللغوي والتعبير القرآني:

تناول الذكر الحكيم في سياق حديثه عن آيات الكتاب المنظور إلى العديد من الظواهر العلمية المنبثة في الآفاق، لكن الإعجاز حقاً أن تعرض هذه الحقائق بأسلوب علمي فريد في سياق لغوي بديع لا يتعالى على العقلية

الإنسانية وقت إخبارها؛ ومن ثم لا يعطى الفرصة للجاحدين بتكذيبه، ولا يسلم الزمام للمعاندين للهجوم عليه، وفي نفس الوقت لا يكذب تلك الحقائق العلمية وقت كشفها؛ فيقع فيما وقعت فيه كتب سماوية أخرى من سذاجة التعبير اللفظي وخطأ التفسير العلمي؛ فيكون ذلك داعيا إلى الهجوم عليها ووسمها بما لا يليق بها– قبل تحريفها–من أساطير الأولين أو انتحال المبطلين، بل يسوق تلك الآيات العلمية في قوالب لفظية جامعة لا تتعالى على الفكر الإنساني وقت خطابه بها، ولا تكذب العلم المتخصص وقت التحقق من أبعادها؛ ليدفع القرآن بذلك العلم إلى النظر والبحث والاجتهاد لتفتح أمامه أفاقاً رحبة من المعاني العلمية المثبتة للمعجزة القرآنية والمؤكدة على أن إدراك أعماق هذا الكتاب المسطور يتخطى حدود الزمان والمكان.

ومما يؤكد على هذا الإعجاز القرآني "آية الحبك الإلهي للنسيج الكوني" والتي تعد من أعظم الآيات الكونية الشاهدة على ذلك، إذ ساقها القرآن الكريم بطريقة معجزة لا تصادم العقل وقت إنزالها، ولا تكذبها العلم أيان الكشف عن أعماقها، ومن هنا كانت روعة التعبير القرآني عن تلك الآية الكونية بلفظ "الحبك" دون غيره من الألفاظ وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾(١).

فالآية القرآنية الكريمة تشير إلى آية كونية عظيمة وبألفاظ دقيقة في المبني وعميقة في عطاءات المعني، تجلي حقائق الأكوان وتؤكد على إعجاز القرآن، فلفظ "الحبك" عند الرجوع إلى **معاجم اللغة العربية** نجد أن من معانيه" التوثيق والإحكام"، ومنه ما جاء في لسان العرب:(والتحْبِيك: التوثيق وقد حَبَّكْتُ العقدة أي وثقتها، والحباكُ أن يجمع الخشب كالحظيرة..

(١)سورة الذاريات، الآية" ٧".

وَحُبُك جَمع حباك والحبائك: الطرق، واحدتها حَبيكَة، يعني بها السموات لأن فيها طرق النجوم، والمحبوك ما أجيد عمله، والمَحبوك المحكم الخلق، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه، وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله، فقد أحْتَبَكْتَه. وفرس مَحْبوك المَتْن والعجز : فيه استواء مع ارتفاع...) [١].

ومن معانيه شدة الترابط جاء في تاج العروس في معنى الحبك:(الحبكُ: الشَّدُّ والإِحْكامُ وإِجادَةُ العَمَلِ والنّسج وتَحْسِين أَثَرِ الصنعَةِ فِي الثَّوْبِ يُقال: حَبَكَه يَحْبِكُه ويَحْبُكُه من حَدّيْ ضَرَب ونَصَر حَبكاً: أَجادَ نَسجه وحسَّنَ أَثَرَ الصَّنْعَةِ فيهِ كاحْتَبكه: أَحْكَمه وأَحْسَنَ عَمَلَه فَهُوَ حَبِيكٌ ومَحْبوك يُقَال: ثَوْبٌ حَبِيكٌ ومَحْبُوكٌ: أحْكِم نَسجُه)[٢].

وقال الخليل:(والحِباكُ: رباطُ الحَضيرة بقَصَبات تُعَرَّضُ ثمَّ تُشَدُّ كما تُحبَكُ عُروشُ الكَرْم بالحِبال. واحَتَبَكْتُ إزاري: شَدَدْتُه. والحَبيكة: كلُّ طريقة في الشَّعْر وكُلُّ طريقةٍ في الرَّمْل تَحْبِكهُ الرِياحُ إذا جَرَتْ عليه، والحُبُك: جماعة الحبيك، ويقال: كذلك خِلْقةُ وجْهِ السَّماء)[٣]

---

(١) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، فصل الحاء المهملة(٤٠٨/١٠).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، باب(ح ب ك)، (١٠١/٢٧).

(٣) كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، باب: الحاء والباء والكاف، (٦٦/٣).

ومن هنا نجد أن(الحَبْك) في منطوق اللغة العربية يدور حول: الإحكام والتوثيق والإتقان للشيء المحبوك، والمؤدي إلى جودة نسجه، والشاهد على دقة صنعه، والمظهر لجمال خلقته، فلا شقوق ولا فروج، ولا اختلال ولا عيوب، بل إحكام لأصول الصنعة، وكمال في تراكيب الخلقة، وجمال فيما ظهر من كيانها المنبئ عن قوة حبكها وتناسق أجزائها، سواء كان ذلك فيما صغر حجمه كالثياب أو كبر جرمه كالسموات الطباق، وسواء وُجد ذلك في المعنويات كنسج الأشعار أم حبك عوالم الآفاق.

وإذا كان أرباب اللغة وفحولها أفاضوا في بيان معاني الحبك وتصوير مجالاته، لتقرب إلى الأذهان ثلة مما أراده القرآن عند حديث عن تلك الآية الكونية، فإن أرباب التفسير على اختلاف أزمانهم وتلاحق أجيالهم تسابقوا لتجلية بعض أسرارها في إطار تفسيرهم لقوله تعالى:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[١].

من أراء المفسرين حول معني ﴿الْحُبُكِ﴾ في هذه الآية :

تعددت أقوال أعلام المفسرين وآراؤهم لبيان المقصود من قوله تعالى:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[٢]، وبيانها على النحو التالي:

١. القول الأول: قاله الإمام علي بن أبي طالب وقتادة ومجاهد وغيرهم:(﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أقسم بالسماء ذات الحسن والجمال،

(١) سورة الذاريات، الآية" ٧".

(٢)سورة الذاريات، الآية" ٧".

ويعني: ذات الخلق الحسن، وقال مجاهد: المتقن من البنيان، يعني: البناء المحكم. ويقال: الحبك: ذات الطرائق) [١].

٢. القول الثاني: رُوي عن الإمام ابن عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما– قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: حسنها واستواؤها، وقَالَ بَعْضُهُمْ: ذات بنيان متقن محكم، وكلا التأويلين يرجعان إلى واحد؛ فإن حسن خلق السماء بالإتقان والإحكام؛ يقال للحائك إذا أحسن النسج وأحكمه: حبك الثوب، وقال الحسن: حُبِكت بالنجوم، وحبكت بحسن الخَلْق، وقَالَ بَعْضُهُمْ: ذات الشدة والاستواء[٢].

٣. القول الثالث: وإليه ذهب عكرمة، قال: ألم تر إلى النّسّاج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه، قيل: ما أحسن حبكه، وقال سعيد بن جبير: ذات الزينة، وقال الضحاك: ذات الطرائق، ولكنّها بعيد من العباد فلا يرونها[٣].

٤. القول الرابع:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قيل: ذَات التَّأْلِيف، الْمُحكم، وَيُقَال: ذَات الطرائق فِي الرمل وَالْمَاء إِذا ضربتها الرِّيَاح حبائك، وَيُقَال:

---

(١) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف : أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، (٦/٢٣٢).

(٢) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، (٩/٣٧٥).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، (٩/١١٠).

الحبك هُوَ بهاؤها واستواؤها، وَيُقَال: شدتها وإحكامها، وعَن الْحسن الْبَصْرِيّ: وَالسَّمَاء ذَات الحبك أَي: النُّجُوم.. [١].

٥. القول الخامس: قال الشيخ طنطاوي جوهري(المتوفى:١٩٤٠م) [٢]:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي ذات الطرائق، والحبك جمع حبيكة كطريقة، وطرائق السماء قسمان: محسوسة وهي: مسير الكواكب، ومعقولة وهي:

---

(١) تفسير السمعاني، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي(المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (٢٥١/٥).

(٢) هو طنطاوي بن جوهري المصري(١٢٨٧- ١٣٥٨ هـ = ١٨٧٠- ١٩٤٠ م): ولد (الشرقية) بمصر، وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدارس الحكومية. وتخرج "طنطاوي" في دار العلوم سنة (١٨٩٣م) وعين مدرسا بمدرسة دمنهور الابتدائية، وتنقل بين عدد من المدارس منها المدرسة الخديوية حيث بقى فيها عشر سنين (من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٠م) وأثناء وجوده بها عكف على تعلم اللغة الإنجليزية حيث أتقنها وترجم بعض كتبها ومنها مؤلفات اللورد "افبوري" كما ترجم أعمالا لبعض الشعراء الإنجليز، صنف كتبا أشهرها تفسيره "الجواهر" والذي انقطع الشيخ طنطاوي لتأليفه ووهب له جل وقته لإنجازه دون توقف على مدار سنوات من سنة ١٩٢٢م إلى أن أتمه في سنة ١٩٣٥م، حيث يقع هذ التفسير في ٢٦ جزءاً، وسماه" الجواهر في تفسير القرآن" نحا فيه منحى خاصا، ابتعد في أكثره عن معنى التفسير، وأعرق في سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير. وجعل لسائر كتبه عناوين ضخاما، وأكثرها رسائل، منها: (جواهر العلوم) و (النظام والإسلام) و (التاج المرصع) و (الزهرة) و (نظام العالم والأمم) و (الأرواح – ط)، وتوفى في صباح يوم الجمعة ١٢ يناير سنة ١٩٤٠م رحمه الله تعالى. يراجع: الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م، (٢٣٠/٢).

مسير العقول في التفكير فيها للتوصل إلى العلوم والمعارف، أو ذات النجوم، والنجوم تزين السماء كما تزين طرائق الثوب، وتحسن شكله ومنظره، ويقال في هذا أيضاً: حبيكة وحبك وحباك ككتاب وكتب، يقسم الله بالسماء ذات طرائق النجوم وطرائق العقول بالتفكر، أو طرائق الثوب والزينة بنفس النجوم، ومعلوم أن طرق النجوم ونفس النجوم كلها مرتبطات متعاضدات متحدات المقاصد والأغراض (١).

أقول: وبعد عرض هذه الآراء التفسيرية لسلة من أعلام المفسرين في القديم والحديث أخلص إلى القول بأن هذه الآراء التفسيرية دارت في فلك المعاني اللغوية المفسرة للفظ ﴿الْحُبُكِ﴾ مستندة إليها في بيانها، عاملة على تقريب معاني الحبك بما يشاهد من أمثلة حسية تجسد المعاني العلمية الحاصلة من وراء الحبك كشدة الإتقان، ومتانة النسج، وقوة الإحكام، بما يظهر في صورة المحبوك من جمال وزينة وبهاء، أو بما يلزمه الحبك من طرائق وأشكال محددة تنسج شكله، وتشكل كيانه بما يؤكد على إتقان الصنعة وكمال الخلقة بعيداً عن وجود شقوق أو فروج تصادم جمال نسجه وتنفى بديع إحكامه وحبكه.

ثانياً: آية النسيج الكوني في بينات علم الفلك الحديث:

مع تقدم علم الفلك الحديث، وتطور أبحاثه المعرفية تم الكشف عن حقيقة "الحبك الإلهي للنسيج الكوني" في إطار من التخصصية البحثية التي كشفت بما لا يدع مجالاً للشك مدى إبداع القدرة الإلهية في خلق العوالم

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم" المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات"، المؤلف: الشيخ: طنطاوي جوهري، الناشر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، صفر ١٣٥١هـ، (١١٧/٢٣).

العلوية على أكمل وجوه الخلق، بل تجلى وبالبرهان العلمي بعض صور العظمة الربانية في إحكام الصنعة الكونية، وليؤكد للعالم أن خالق الكون المنظور هو منزل الكتاب المسطور.

وقبل الدخول في بينات علم الفلك الحديث لتجلية جوانب هذه الآية الكونية العظيمة، لابد من الإشارة إلى أن المعاجم اللغوية والآراء التفسيرية ساهمت بنصيب محمود في تجلية وبيان بعض ما طواه تاريخ البشرية في مدد أحقابه حول مظاهر تلك الحقيقة الفلكية" النسيج الكوني"–كما تعرف عند علماء الفلك–، بما توافر لديها من معان لغوية تستند إلى السليقة الفطرية التي تفّرد بها العرب، وهم الذين نزل القرآن بلسانهم، وما دار حولها من آراء تفسيرية لا تصادم العقل ولا تتعدى حدود اللغة، بل تثبت كمال الفهم لدى علماء الأمة تجاه تجلية حقائق الأكوان بما يفيض به معين القرآن.

وبالرجوع إلى بينات علم الفلك الحديث لاستجلاء تفاصيل هذا"الحبك الإلهي للنسيج الكوني"، يظهر لنا أن التفاصيل العلمية الكاشفة عن طبيعة تلك الحقيقة الفلكية لا تخالف اللغة العربية أو تخرج عن أبرز المعاني التي وضعتها لتفسيرها، ألا وهي أن المقصود بالحبك هو "النسج المحكم والنظم المتقن للشيء المحبوك والظاهر في جمال زينته وإحكام طرائقه"، لكن المدهش في الأمر أن تأتي الكشوفات الفلكية لتثبت صحة التسمية بالنسيج الكوني كتعبير علمي دقيق يطلق على تلك الآية الكونية عند علماء الفلك، فلقد(بث المرصد الفلكي الأوروبي من خلال موقعه على الإنترنت اكتشافاً فلكيا عنوانه:"لمحة عن النسيج الكوني المبكر جداً" تأكيداً على لسان العلماء الذين اكتشفوا هذا النسيج ورأوه للمرة الأولى، ويقول فيه أحد علماء الفلك الغربيين: إننا لا نكاد نشك بأننا–وللمرة الأولى– نرى هناك خيطاً صغيرا في

الكـون المبكـر، ثـم يقـول بـالحرف الواحـد: نحـن نـرى "أي هـذا الخـيط الكوني"عندما كان عمر الكون ٢ بليون سنة فقط) [١].

فهذا الخيط الكوني ما هو إلا جزء صغير من منظومة النسيج الكوني المحكم الذي يحبك البناء السماوي ويزين بهندسته طرائقه، وليصبح هذه المصطلح من المصطلحات الفلكية الجديدة الذي(أطلقه علماء الفلك للتعبير عن بنية الكون، ولما كانت الحقيقة العلمية يتم إثباتها بالصور فقد تمكن فريق من العلماء برسم صورة للكون ثلاثية الأبعاد باستخدام أحدث الوسائل التكنولوجية" السوبر كمبيوتر"[٢]، وكانت المفاجأة أن المجرات لم تكن– كما هو معروف لدى علماء الفلك– موزعة توزيعاً عشوائياً في الفضاء الكوني،

(١) مقال بعنوان: القرآن والحقائق العلمية .. محطات من التناغم العجيب، الكاتب: د/ السيد حامد السيد، الناشر: مجلة فكر – مركز العبيكان للأبحاث والنشر، العدد ٦، بتاريخ: فبراير ٢٠١٦م، ص٨٨.

(٢) يسمى هذا الجهاز بالكمبيوتر العملاق، وتم اكتشافه في بداية عام ٢٠٠٠م، ويستخدم في علميات المحاكاة، وقد بلغت سرعته أكثر من ١٢ تريليون علمية حسابية في الثانية الواحدة، ووزنه أكثر من مائة ألف كليو غرام، ويبلغ حجمه حجم ملعبي تنس!! وحجم الذاكرة له ٦ مليون مليون بايت، وينجز في الثانية الواحدة ما يحتاج الإنسان لإنجازه بواسطة الآلة الحاسبة العادية لمدة ١٠ مليون سنة، ولولا جهاز كهذا لما أمكن أبداً اكتشاف شكل الكون أو رسم صورة مصغرة عنه. المرجع/ ظواهر كونية بين العلم والإيمان، مجموعة مؤلفين، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، ص١١٣

بل تصطف على هيئة خيوط طويلة، وترتبط هذه الخيوط بعقد، وتشكل نسيجاً كونياً رائعاً) [١].

وهذا الحبك المحكم للنسيج الكوني يثبت (أن السماء بناء محكم، تملؤه المادة، والطاقة، فالسماء محبوكة على سعتها، ولا يمكن اختراق هذا النظام إلا عن طريق أبواب تفتح فيه، في كل طريق أبواب عدة، لذا فكل مركبة فضائية يجب أن تنطلق في زاوية معينة ومسار معين كي تستطيع أن تنفذ من نطاق جاذبية الأرض إلى الفضاء الخارجي، وتصحيح المسار وثباته يتم تحت سيطرة الأدمغة الإلكترونية، وكذلك على المركبات الفضائية خلال عودتها إلى الأرض من الفضاء لابد أن تدخل من فتحات وطرائق معينة في الغلاف الجوي، وإلا بقيت في الفضاء الخارجي أو احترقت فيه)[٢].

وبعد إثبات تلك الحقيقة الفلكية فإن السؤال الذي يلقي بنفسه الآن، ما هي مظاهر هذا الحبك الإلهي للنسيج الكوني والذي جعله منه آية كونية عظيمة ينثرها القرآن في آياته المنزلة ويخاطب بها عقول البشرية المتأملة وأذهانها المفكرة؟

وحتى تكون الإجابة على هذا السؤال إجابة موضوعية تفي بالغرض المقصود منها، لابد من إفساح المجال لبينات علم الفلك الحديثة لتنطق بشواهد أبحاثها المثبتة، وتصدع بروائع معارفها المتيقنة وتكشف للعالمين

---

(١) مقال بعنوان: من أسرار القرآن– الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)، الناشر: جريدة الأهرام المصرية، العدد الصادر بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠١.

(٢) مجلة الاعجاز العلمي / تصدرها رابطة العالم الاسلامي – العدد السادس محرم ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ١٣/٨ .

بدائع هذا الحبك الكوني، والذي يؤكد على عظمة الإبداع الرباني المنثورة في عوالم الكون وآفاقه، وفي إطار إحصاء علم الفلك لمظاهر هذا الحبك الإلهي للنسيج الكوني، يمكن الوقوف على الحقائق العلمية الآتية، والتي تجلي بعضاً من تفاصيل حبك النسيج الكوني ومنها :.

١. التوزيع المتقن بين الأجرام السماوية:

فمن المظاهر الفلكية المؤكدة على وجود النسيج الكوني والموحية بجماله والشاهدة على كماله، ما فطرت عليه الأجرام السماوية من التوزيع المتقن لوجودها، والتنظيم المحكم بين أبعادها والتقدير المعجز لمواقعها، فكما أن حائك الثياب يخيطها بمسافات معينة لتظهر جمالها بمجرد حياكتها وتبرز كمالها مع تمام نسجها، فإن الإبداع الإلهي تفرد بكمال الحبك للنسيج الكوني وجماله وجلاله في أتقن صنعة وأكمل خلقة تتجلى للبشرية عند اقترابها من هذا الجمال الكوني، وهذا ليس بخيال ينسجه العقل البشري بفكره، وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور منصور حسب النبي:(إن المظاهر التي تم رصدها للمجرات والأجرام البعيدة أنها–وبغض النظر عن أشكالها أو كتلها وأحجامها–موزعة بانتظام وتماثل تامين في الفضاء الكوني، وذلك على هيئة حشود أو عناقيد ذات رتب مختلفة، وهي لا تتبع نظام" العشوائية" أي أنها ليست وليدة الصدفة، بل هي نتاج نظام محكم ثابت وتدبير شامل تبعاً لقوانين أو سنن لا مبدل لها) (١).

فهذا التوزيع المتقن للحشود النجمية والتنظيم المحكم لوجودها يشهد بقوة الحبك الإلهي لأجزاء البناء السماوي بطريقة تنفي العشوائية في الوضع أو التركيب، وهذا بدوره يساهم في تشكيل الصورة العامة لهذا البناء بما يضفي

(١) مع القرآن في الكون، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، ص٥٩.

عليه من ألوان الجمال بما يماثل كل نسيج حُبك على عين الصانع؛ ليخرج أمام الناظرين في أبهى حلة بما يدل على إحكام الصنعة، ولو لم يكن هناك تنظيم لما كان هناك إحكام وما حصل الإبداع.

٢. قوة الترابط بين الخيوط الكونية ومتانتها:

معلوم أن النسج المحكم والحبك المتقن لابد له من قوة تؤلف بين أجزائه، وتنظم بين حلقاته، وتجمع بين مكوناته؛ حتي يظهر في ثوبه الكوني القشيب الذي تتجلى فيه صورا من احترافية الصانع وإبداعه ومدى إتقانه وإحكامه؛ بما يشاهد من جميل صناعته وإبداعه، والسؤال هنا: ما القوة الكونية التي تحبك أجرام الفضاء الكوني وتربط بين خيوطه فيما كشفه علم الفلك الحديث؟

الإجابة: إنها الجاذبية[١] تلك السُنة الكونية التي وضعها الخالق العليم؛ لتجعل من خيوط هذا النسيج خيوطاً مترابطة ومتناسقة، تؤدي دورها المنشود في تآلف هذا البناء العظيم، وتمارس مهامها في حبك معالمه وظهور زينته وروائعه، والتي جعلت منه آية في الجمال تحدث عنها القرآن

(١) هي قانون كوني موجود في طبيعة الأشياء كلها، وعمل في صمت في السماء والأرض، وينص هذا القانون على أن أي كتلتين في الوجود بينهما قوة جذب، وهذه القوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب المتجاذبين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما:أي أن قوة الجاذبية تزداد بازدياد المسافة طبقاً لما يسمى بقانون التربيع العكسي. المرجع/ الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم" سلسلة العلم والقرآن"، المؤلف: د/ عبدالعليم عبد الرحمن خضر، الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ص٢٢٩.

الكريم حيث قال جل شأنه:﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾(١).

وقد أثبتت بينات علم الفلك الحديثة عظم دور الجاذبية الكونية في المحافظة على تماسك النسيج الكوني في مختلف أوضاعه وحركات أجرامه،ويشير إلى تلك الحقيقة الفلكية الأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا(٢) حيث يقول:(إن جميع الأجرام السماوية لابد لها أن تتحرك بسرعات محددة لتسلك مساراتها المحددة التي قدرها الله –تعالى– لها في فضاء السماوات، فهو وحده القادر على إكسابها هذه السرعات بالقدر المطلوب الذي يجعل من السماوات بناء محكماً، ونسيجاً متآلفاً، لبناته أجرام السماوات والأرض، والقوة الرابطة بينها والمنظمة لحركاتها– قوة الجاذبية–وهي أشبه بالمواد اللاصقة والماسكة للبنات البناء المشيد)(٣).

وفي إطار تقريب العلم التجريبي الحديث لأثر هذه الجاذبية في حبك النسيج الكوني وإحكامه مكوناته كقانون إلهي لازم لاستقامة البناء الكوني، يتحدث صاحب كتاب رحيق العلم والإيمان مقرراً تلك الحقيقة الفلكية

---

(١) سورة ق، الآية"٦".

(٢) هو الأستاذ الدكتور: أحمد فؤاد باشا أستاذ الفيزياء ونائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق، وعضو المجمع العلمي المصري، وعضو لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة، وعضو اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلم، ورئيس جمعية التراث العلمي للحضارة الإسلامية، وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لتعريب العلوم، شارك بالتأليف والترجمة في إصدار عدة كتب ومجلات علمية. يراجع/ غلاف رحيق العلم والإيمان، المؤلف د:أحمد فؤاد باشا.

(٣) رحيق العلم والإيمان، المؤلف د:أحمد فؤاد باشا، الناشر: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م، ص٥٦، ٥٧.

بقوله:(إن الخالق-سبحانه وتعالى-جعل كل كوكب من الكواكب في الكون بمنزلة لبنة" طوبة" من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بنا، وشد هذه الكواكب إلى بعضها البعض برباط الجاذبية مثلما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها من الأسمنت الذي تتماسك به) (١).

وبهذا التماسك الذي أحدثته الجاذبية كمظهر من مظاهر الحبك الإلهي يتضح أن الخلق الإلهي للكون وعوالمه لا يخضع إلى العشوائية، ولا يقوم على نظرية الصدفة، وإنما صنع على عين وشكلت معالمه على قوانين كونية محكمة تنبئ عن العلم الكامل والتدبير الشامل، وتظهر مدى طلاقة القدرة الإلهية وسبق العلم الإلهي لكافة علوم البشرية قاطبة مهما كان تطورها وفي أي مجال نازلها،(فالقوانين الرياضية والفيزيائية التي اكتشفها العلماء منذ فجر التاريخ والحضارة البشرية حتى اليوم في حقول الطبيعة عامة والفيزياء الفلكية خاصة تدل دلالة واضحة على أن الكون يسوده النظام ويخضع لقوانين وأنظمة وقواعد مرسومة، لا مجال فيه لاحتمالات الفوضى والصدفة والعشوائية والخطأ والشذوذ، بل يبدو واضحاً في كل حركة ونسمة من حركات ذراته وأجرامه النظام والتدبير والارتباط والدقة والإرادة والقصد) (٢).

وبوجود هذه الجاذبية الكونية صارت خيوط هذا النسيج الكوني قوية محكمة لا يختل نظامها، ومتينة لا يضعف بناؤها، ومترابطة لا ينفصم عرى توثيقها، بل تحافظ على قوة هذا النسيج في حركات أجرامه، ومختلف

---

(١) المرجع السابق، ٥٧.

(٢) الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم" سلسلة العلم والقرآن"، د/ عبدالعليم عبد الرحمن خضر، ص٢٤٥.

مساراته، في توازن عجيب وتناغم مذهل، يؤكد على عظمة النظام الإلهي في الخلق والتدبير رغم عظمة مكونات هذا البناء وشسوع مسافاته وفلكية أرقامه، وفي هذا بيان علمي لقدرة الله القاهرة، وسعة سلطانه الشاملة، وكمال عنايته المحيطة بكل موجود في هذا الوجود، وتهيأت الأسباب اللازمة لصلاح أمره وممارسة دوره المنوط به على أكمل الوجوه وأتمها.

٣. نفي وجود فروج أو صدوع في البناء السماوي:

من ظواهر الحبك الكوني التي أثبتتها المراصد الفلكية، والمترتبة على دقة التوزيع المعجز بين أجرامه، وقوة الترابط المحكم بين لبناته، عدم وجود الشقوق والفروج في ثنايا هذا البناء السماوي، فكما أن النسيج المحكم لا فطر فيه ولا شقوق بين خيوطه كدليل على استحكام نسجه وقوة وصلابة حبكه، فكذا البناء السماوي لا شقوق بين أجزائه ولا تصدعات بين لبناته، ولا فروج بين مكوناته، بل هو بناء إلهي محكم متناسق في أجزائه، متآلف في لبناته، متزن في قوانينه ذو نظام كامل شامل متناسق، وهذا مظهر من مظاهر التسوية التي عبر عنها الذكر الحكيم في أكثر من موضع ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]، وقوله جل شأنه:﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[٢]، فالسماء(مرفوعة في تناسق وتماسك وتآلف بلا شقوق في بنائها ولا عيوب في خلقها، وهذه هي التسوية المرادة من قوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهَا﴾.. وإن النظرة المجردة له والملاحظة العادية لحُبكه لتشهد بتناسق السماء وتكامل بنائها بأبعادها وأجرامها في تناسق مطلق وإعجاز مذهل، وإن المعرفة بحقيقة القوانين الممسكة بهذه الخلائق الهائلة... والمجرات المتعددة

(١) الله والكون، د/ جمال الدين الفندي، الناشر، ص٤٢٨ .

(٢) سورة النازعات، الآية" ٢٨".

وأجرامها السابحة الدائرة، وتآلفها وتناسق حركتها، لتؤكد على عظمة التعبير القرآني الموجز في مجال هندسة الكون والذي جاء في ألفاظ معدودة ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ وفي سعى العلم لكشف مرادها خلفت أبحاثه في عدة ميادين آلاف المجلدات في بيان هندسة الكون، ولكنها– ومع هذا–لا تساوي بكثرتها حرفاً من عظمة تعبير الآية الكريمة ودقة تصويرها) [١].

وبتلك التسوية الإلهية للبناء السماوي تكامل هذا البناء وتماسكت أجرامه، وقوي نسيجه وأحكمت أبعاده، فلا صدوع ولا شقوق ولا ثقوب، ويؤكد على ذلك صاحب كتاب" الله والكون" بقوله:(فالفضاء الكوني الذي بين السماء والأرض ليس فارغا تماماً، وإنما فيه ما فيه من طاقاتوإشعاعات وأتربة كونية ونحوها تؤكد على استحالة وجود فراغات بين أجزاء الفضاء الكوني، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[٢]) [٣]

وإذا كانت تتحدث بعض نظريات علم الفلك في فترات سابقة متحدية تعبيرات القرآن المعجزة، لكن أحقاب الزمن كشفت ومع تقدم أطوار العلوم التطبيقية زيف هذه النظريات وقصور توصيفها للكثير من الظواهر الكونية، وهذا ما أثبتته الاكتشافات العلمية الحديثة ففي(أواخر القرن العشرين اكتشف علماء الفلك وجود الكثير من المناطق المظلمة بين المجرات، وهي

---

(١) هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، د/ عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية"١٦".

(٣) الله والكون، المؤلف: د/ جمال الدين الفندي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص ٤٢٨.

لا تحتوي على نجوم، وأطلقوا عليا اسم(الفجوات) مقارنة بقطعة الإسفنج المليئة بالفجوات، واعتبروا هذه الفجوات خيوطاً كونية عملاقة.. وإن هذه الفجوات الكونية المظلمة ليست فراغاً، لكنها مليئة بالدخان الكوني والأشعة الكونية على اختلاف أنواعها، ولاحظ العلماء أن هذه الفجوات المليئة بالأشعة الكونية منتشرة في مختلف أرجاء الكون المدرك، وتلعب دوراً مهماً في تماسك ذلك البناء الكوني العظيم، وكأنها خلايا عظيمة متصلة بشكل هندسي.. ويبدو أنها من أسرار بناء السماء وقيام التوازن فيها) [1].

وبهذا الكشف العلمي المتيقن تلاشى ما كان يقال حول وجود فراغات وثقوب في البناء السماوي تشكل عيوباً في صورته المظلمة، وقد نشر أحد علماء الفيزياء الكونية المشهورين من الغربيين بحثاً بعنوان "المادة المظلمة من ألغاز الكون" وقرر فيه خطأ القول بوجود فراغات وشقوق في بناء السماء، فقال:(إننا كنا – علماء الفيزياء الكونية– نعتقد أن الأجرام السماوية تسبح في فراغ تام، ولكن الجديد أن هذا الفراغ ليس فارغاً؛ لأنه مملوء بما يسمى بالمادة السوداء، وبهذا فالمساحة الموجودة بين السماء والأرض أي بين الكواكب والنجوم والأقمار ليست مسكونة بذرات التراب النادرة من رماد النيازك وجسيمات أولية موجودة في الأشعة الكونية والرياح الشمسية فحسب، ولكن الفضاء مملوء بالمادة السواء غير المرئية، وهي على الأرجح

(١) موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، المؤلف د/ نادية طيارة، الناشر: مكتبة الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع– أبو ظبي– الإمارات – ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م، (١/٤٦، ٤٧).

أهم مادة في الكون، لكن حتى عهد قريب لم يكن لدى العلماء أي فكرة عن وجودها) (١).

وبتجلي تلك الحقيقة العلمية والمتعلقة بنفي وجود الفراغ بين مكونات هذا البناء السماوي، يتأكد لنا عظمة التعبير القرآني المحكم في اختيار ألفاظه المنزلة، والتي لا تسبق العلوم في ميدان تخصصها العميق فحسب، بل يرجع لها الفضل في تصحيح المفاهيم الكونية المستندة إلى النظريات الفلكية والفروض البحثية، وسبقها العلمي في الميدان التخصصي، بما يعجز العقل البشري، ويثبت للفكر الإنساني عظمة عطاءات هذا الكتاب المنزل وفيض أنوارها في هداية العلم الإنساني للتي هي أقوم في ميادينه العلمية المستحدثة وأبحاثه التخصصية المتطورة.

وفي نهاية هذا العرض العلمي لبعض مظاهر هذا الحبك الإلهي للبناء السماوي يحق لي القول: إن علم الفلك في الإسلام هو علم أصيل يزخر بألوان من الحقائق الفلكية الثابتة، التي تتجلى من فيض ألفاظ قرآنية محكمة تتناسب في تعبيرها مع مستوى عقلية المخاطبين بها، وتتوافق في عطائها مع يقينيات العلوم في تخصصاتها، فلا استعلائية في توجيه الخطاب المنزل، ولا تصادم فيما أثبته العلم وقطع به، وقد تجلى هذا من خلال الحبك الإلهي للبناء اللفظي القرآني في تعبيراته، والحبك الرباني المادي لبناء السماوي في لبناته، والحبك العلمي لوجود هذا السبق العلمي في أبحاث الفلك وما اكتشف من تخصصاته، فلم يكن هذا السبق العلمي معروفا قبل القرن العشرين أي معلومات عن هذا السبق العلمي حتى بداية

(١) إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف د/ منصور حسب النبي، الناشر: طار الفكر العربي النشر والتوزيع– ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ص١٣٣.

القرن العشرين؛ لتبدأ الهمم العلمية لعلماء الفلك في بحث هذه المسألة ودراستها وكشفها للناس في صورة ما يدعونه سبق علمي فريد وصلوا إليه بعد مجهودات علمية مضنية، وأبحاث فلكية جبارة ومتابعات تطورت وتقدمت بتطور الأجهزة العلمية وارتقت باختراع المراصد الفلكية المتطورة والتي قامت بجهد مشكور في الكشف عن طبيعة الكون، ويكشف عن تلك الحقيقة المهندس عبد الدائم الكحيل[1] بقوله: (إن علماء الفلك اليوم لا يشكون أبداً في وجود هذا النسيج الكوني، بل إنهم بدأوا يبحثون عن الكيفية التي تمت بواسطتها نسج هذه الخيوط الكونية العظمي، وإن من أغرب ما صادفته في هذه الدراسة أنني وجدت بأن علماء الفلك اليوم يستخدمون التعبير القرآني ذاته في أبحاثهم! فقد صدر مؤخراً بحث لعدد من كبار الباحثين الغربيين يتساءلون فيه عن الكيفية التي تم بواسطتها حبك الخيوط بين النسيج الكوني!!! وقد وجدتهم يستعملون كلمة weave وهي تعني (حبك) والسؤال: أليس هذا منتهى الوضوح والدلالة لآيات كتاب الله

(١) باحث إسلامي متخصص في العلوم الهندسية والدراسات القرآنية، من مواليد مدينة حما السورية١٩٦٦م، يحمل إجازة في الهندسة الفلكية من جامعة دمشق، صدر له العديد من المؤلفات في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منها: روائع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الله يتجلى في آياته، معجزة السبع المثاني، معجزة القرآن في عصر المعلوماتية، الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، ظواهر كونية بين العلم والإيمان، وغيرها شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العالمية، منها المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في الكويت عام ٢٠٠٦م، والندوة الثانية للإعجاز بدبي عام ٢٠٠٧م. يراجع: ظواهر كونية بين العلم والإيمان" جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم" سلسلة الدراسات القرآنية"، المؤلف م/ عبد الدائم الكحيل، الناشر: دار الفكر العربي النشر والتوزيع– ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، ص١٣٣.

تعالى؟؟؟ والسؤال: ماذا يعني أن نجد علماء الفلك في القرن الحادي والعشرين يستخدمون الكلمة القرآنية ذاتها؟ إنه يعني أن هؤلاء العلماء مهما بحثوا ومهما كشفوا من حقائق علمية فلابد في النهاية أن يعودوا إلى كتاب الحقائق- القرآن- لأن الله تعالى الذي خلق الكون هو الذي أنزل القرآن وحدثنا فيه عن هذه المخلوقات) (١).

من الدلالات الدعوية لتلك الآية الكونية:

وبعد ما تم عرضه من بينات علمية حول هذه الآية الكونية يمكنني أن أقرر: إن آية الحبك الإلهي للبناء السماوي لهي من أعظم الآيات الكونية الناطقة بلسان حالها بعظمة الربوبية، والشاهدة بدقة صنعها على تمام الخلق وإحكامه، وفي ثناياها العلمية دلالات دعوية وإشارات تبليغية يمكن لكل داعية إلى الله تعالى حسن توظيفها الدعوي لخدمة أغراض الدعوة وعرضها بلغة العصر، ومن تلك الدلالات الدعوية:

١. التأكيد على السبق العلمي للفظ القرآني المعجز وعمق دلالته على الآية الكونية التي سيق من أجلها، ولم لا؟ وهو ينطلق من علم شامل لخالق مبدع وصانع متقن خلق كل شئ فقدره تقديراً، وعليه فدائرة المعارف العلمية الصادقة والمتيقنة تنبع من عطاءات الكتاب المسطور وتترا بيناتها في دلائل وآيات الكتاب المنظور.

٢. بيان روعة الهندسة الإلهية المعجزة في إبداع العوالم العلوية وإحكام النظم الكونية بطريقة معجزة، فما من ذرة من ذرات هذا الكون بعوالمه العلوية أو مخلوقاته السفلية إلا تسير وفق نُظم متقنة، وقوانين محكمة تكذب الادعاء بوجود الصدفة، وترد على الزعم بغلبتها في تسيير الكون وخلق

(١) المرجع السابق، ص ١٢٠ .

عوالمه، فهذا النظام المحكم يشهد بجلال صنعه ودقة خلقه وتكامل نظمه؛ لأنه خلق بحق وشاهد صدق على وجود الخالق وألوهيته ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١).

٣. مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وهو ملمح دعوي عظيم يجب على الدعاة إلى الله–تعالى–الأخذ به عند مخاطبة الناس، وقد تجلى في روعة الخطاب القرآني في سوق الآيات الكونية وعرضها بما لا يصادم العقل البشري ولا يكذب العلم التجريبي وهذا ما تجلى في دقة التعبير القرآني بالحبك دون غيره من الألفاظ وكيف جمع بين ما يتفق مع عقول العامة من معاني هذا اللفظ، وما أثبته علم الفلك من معان تخصصية في تكاملية إعجازية وبراعة دعوية تفرد بها كتاب الله تعالى.

٤. تعد هذه الآية الكونية مدخلاً مهماً لطرق أبواب علم الفك القرآني الذي يقوم على أصول ثابتة من الإشارات العلمية الصادقة التي حوتها الآيات القرآنية المنزلة، لتشجع همم العلماء ليكتشفوا ويخترعوا، وهمم الدعاة ليوظفوا ويرتشفوا، وعقول المسلمين ليتيقنوا ويثقوا في دوام وسعة عطاء كتابهم المعصوم في مختلف محاريب الفنون وميادين العلوم.

كما ومن هنا ندرك عظمة علم الفلك القرآني في تصحيحه للكثير من النظريات التي أخطأ فيها العلم، بل شغلت أروقته فترة طويلة من الزمن حول وجود ثقوب سوداء في السماء.

هذا.. وبعد ما تم سرده من حقائق علمية مؤكدة تتعلق بهذه الآية الكونية المحكمة تتجلى لنا روعة الاعجاز القرآني لا تنحصر فيما سبق ذكره من جوانب علمية لهذه الآية الكونية فمداد القرآن وعطاؤه لا ينقطع عند

(١) سورة آل عمران، من الآية"١٩١".

جيل، ولا يتوقف عند حد، بل تتجلى فيوضاته وتتكشف عطاءاته مع تطور العلم البشري وتحقيقه وثبات بحثية مذهلة في المجالات العلمية المتخصصة، بل إن جوانب هذا العطاء القرآني المتعلق بهذه الحقيقة الفلكية يتمثل في دقة اختيار الألفاظ الدالة على عمق المعني العلمي المراد.

النتائج:

أسفر هذا البحث عن النتائج الآتية:

١. الكشف عن بعض أسرار اختيار اللغة العربية كلسان مبلغ للوحي الإلهي المنزل دون غيرها من اللغات الأخرى فليس في اختيارها تعصب قومي أو استعلاء عنصري، وإنما لقيمتها في دقة التعبير عن فيوضات الوحي الإلهي بما تجليه العلوم من أسرار إعجازية وومضات علمية يستعصي على العقل الإنساني سبر أغوارها، أو إدراك منتهى جمالها، لتحاج العلم في نطاق تخصصه و تنازله في ميدان تعمقه؛ لتكشف له عن حقيقة قدره أمام عظمة القدرة الإلهية وكمال الصنعة الربانية.

٢.إن للألفاظ القرآنية سعة في العطاءات العلمية، ودقة في بيان المآلات المعرفية، وبراعة في الخطابات الدعوية، فليست ألفاظ جامدة ولا حروف لغوية هامدة، بل هي قوالب جامعة تحرك الشعور وتبتعث التفكير وتثير الهمم نحو ميادين التأمل في بينات الصنعة وأصول الخلقة؛ لتأخذ بيد الإنسان إلى استخلاص نتاج معرفي صحيح يمكن صاحبه عند التجرد والإنصاف إلى الإذعان بوجود مبدع الأكوان، وعظمة خالق الإنسان، والتسليم لمنزل القرآن .

٣.إن هندسة النظام الكوني في الآفاق تشهد بدقة الإحكام وإبداع النظام وروعة التكوين وانتظام التأليف، وهذا بدوره يؤكد على وجود الخالق العليم وألوهية المبدع الحكيم الذي أبدع تكوين العوالم بحكمته، وأتقن صنع الآفاق بقدرته، ونظم طرائقها بفيض علمه وأحكم وجودها بقوته.

٤. التأكيد على مدى التكامل المعرفي بين ألوان الإعجاز القرآني في تبليغ الدعوة و إيصالها بلغة العصر وحسب المجالات التخصصية بما يؤكد

على الوحي الإلهي تحقق خلود إنزاله– بحفظه– وخلود تنزله بصلاحيته لكل عصر وتوافقه مع كل مصر.

٥. إن معين القرآن العلمي ما زال–وسوف يظل– فياضاً تتكشف أسراره وتتجلى أنواره في صور من السبق العلمي، ومداد من العطاء الفكري الذي تسطح أنواره بتجلية الحقائق العلمية وكشفها، وبيان تفاصيلها وتأكيدها.

٦. الدعوة الصادقة إلى أسلمة العلوم التجريبية لخدمة الدعوة الإسلامية وجعلها ركناً مهماً من أركان بناء التكامل الفكري في بينة تكوين عقلية العالم المسلم، ولسنا بدعاً في المناداة بهذا الأمر فهو مطلب حضاري للبعث الإسلامي وهو طريق انقطع اقتفاء آثاره وضل في اتباع أنواره، فما عرف التاريخ الإسلامي في أحقاب ازدهاره تفرقة أو فصلاً بين مسمى عالم شرعي و باحث كوني، فكان علماء الأمة الإسلامية في أوقات سيادتها وقيادتها أرباب علوم شرعية و أصحاب معارفة تخصصية، وكل باحث في تاريخ هذه الأمة يستيقن بذيوع هذه المسلمة التاريخية وتحققها.

٧. إن تدبر آيات الكتاب المسطور في بينات الكتاب المنظور واجب إيماني؛ لتثبيت الإيمان وتمكينه في أعماق الجنان، وطريق علمي لتصحيح الأفكار وتقويم النظريات، ومطلب حضاري لصناعة الحضارة على أسس من العلم النافع المنبعث من ثنايا الإيمان الصادق.

٨. محدودية العلم الإنساني مهما ارتقى أمام صرح العلم الإلهي الكامل في عظمة المنتهى، وفرق شاسع بين تعبيرات الكتاب المنزل ونظريات العلم القاصر، فشتان بين علم شامل ينثر من الحقائق أثبتها، ويظهر من المعارف أقطعها، في قوالب لفظية جامعة، وبين علوم مستحدثة تقوم على فروض متخلية وتنشأ من عقول قاصرة، وتخضع لتطورات منقحة ولا تدرك

من الحقائق إلا ما أُذن لها أن تكون به عالمة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فَسَوَّاهَا﴾(١).

٩. التأكيد على خطأ الادعاء بالتصادم بين النهضة العلمية والدعوات الدينية، ما دامت الأولى تقوم على الحقائق التخصصية المؤكدة، والثانية تتصف بالإلهية المعصومة، فلا تعميم ولا قياس، وإنما نظر بإنصاف بين ما أنتجه الدين الإسلامي في حضارة فريدة جمعت بين علوم الدين والدنيا، وما حدث في أوروبا كان نتاج التصادم بين نصوص محرفة تتصادم مع حقائق علمية موكدة، وهذا لا يوجد في الإسلام دين العلم والحضارة، وتلك الإشارات العلمية للآيات القرآنية لهي خير شاهد على مدى التوافقية بين الدين والعلم.

١٠. التصدي للهجمات الفكرية الشرسة على التراث الإسلامي بتصويره بتراث فاته السبق الزماني ونضب عطاؤه الفكري، وهذا التصدي يكون بمحاولة المراجعة الدقيقة والتنقية الذاتية لأسفاره النفسية لإخراج دررها وتعظيم الاستفادة من جواهرها في تجلية عطاءات الشخصية العلمية للعقلية الإسلامية، وفي نفس الوقت توجيه ما لا يتوافق مع تطوارات العصر بإلقاء الضوء على الأسباب الحقيقة في القول بها بما يقطع الطريق على الاتجاهات الخبيثة الماكرة التي تترصد بعطاء الإسلام الفكري وتحاول هدمه أو مسخه أو اخضاعه لبحار أهوائها المضللة وأفكارها الغربية الموجهة.

١١. تترى آيات عظمة الهندسة الإلهية للبناء الكوني في جمال حبكه العلوي، ويتجلى جلال أبعاده في عظمة اتساعه وتمدده، وتظهر مواقع علمه

(١) سورة الإسراء، الآية" ٨٥".

في دقة مواقعه نجومه، وتلك حقائق فلكية متيقنة؛ تخاطب بجلالها وتأخذ بجمالها كل عاقل منصف أو باحث علمي يبغي طريق الحق وسبيل الرشاد.

١٢. شمولية النظرة الإسلامية للعلوم الكونية بنثر ومضات علمية تنبعث من قوالب لفظية جامعة تشير إلى حقائق علمية متكاملة تؤسس لعقيدة تبني على إقناع العقل وتستند إلى العلم بمختلف أنواعه وتحتفي بالمعرفة بشتى ظواهرها، وتحارب الجهل والخرافة لتحرر الفكر الإنساني من أغلاله، وتشد على يديه وتهديه ليمارس دوره المنشود في إعمار الكون بالعلم النافع والعمل الصالح.

١٣. أن العلم التجريبي الموضوعي في مناهجه والمنصف في أهدافه لا يعارض القرآن ولا يصادمه كما يقال زوراً وبهتاناً، بل هو من أعظم الطرق لإثبات إعجازه وامتداد فيض عطاءاته.

١٤. القرآن الكريم خير دائرة علمية ترجع إليها الإنسانية عند التحقق من المنجزات العلمية، وهذا ما تجلى من شموله للكثير من الحقائق الكونية الغير مبتكرة ولا مخترعة، بل مصححة ومصوبة لمراحل الارتقاءات العلمية التي تثبت عند الإنصاف أن خالق الكون المنظور هو منزل الكتاب المسطور.

١٥. إن الاكتشافات العلمية تثبت مدى قصور العلوم الإنسانية رغم تطورها، وطفولتها في ميادين الكون رغم تقدمها، فما يكشفه القرآن يثبت أن الكون أوسع وأعمق مما يتصور العقل البشري أو يظن الخيال الإنساني، وأن العلم مازال على شاطئ المعرفة الإلهية الواسعة ببحارها المحيطة لكل علم وفكر ومعرفة، وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ

شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

١٦. البراعة القرآنية في عرض الحقائق الكونية بما لا يصادم العقل البشري وقت إنزاله، ولا يكذب الكشف العلمي وقت اكتشافه، بل يجمع الحقائق في قوالب لفظية مركزة تناسب العقول الشاهدة، ولا تكذب الحقائق الغائبة، وهذا يفسر لنا لماذا جاءت الحقائق العلمية في المنظومة القرآنية بتلك الإيجاز المنطوي على الإعجاز.

(١) سورة لقمان، الآية"٢٧".

التوصيات:

١. ضرورة الاهتمام بالأبحاث العلمية المركزة على بيان مدى التكامل بين إعجاز الألفاظ القرآنية في مبنانها اللغوي وعطائها العلمي وبُعدها الدعوي سواء في علوم الفلك أو الظواهر الجوية أو طبقات الأرض أو علوم البحار وغيرها؛ لما لها من قيمة علمية في بيان غزارة العطاءات الإلهية في علوم الكون والحياة، وهذا بدوره يؤكد على تكامل المنظومة المعرفية للدين الإسلامي وتعاطيه مع العلوم المستحدثة والمعارف العلمية المتطورة لخدمة البشرية وإمدادها بالرصيد المعرفي الصحيح المساهم في بناء حضاراتها والحفاظ عليها.

٢. إلزام الجامعات الإسلامية-وخصوصا الشرعية-بتوسيع دائرة الاهتمام بالمعارف الكونية وأسلمتها؛ بما يسهم في تكوين الشخصية العلمية المتكاملة للداعية العصرية الذي يواجه التحديات الموجهة ضد دعوته بأسلحة العصر ولغته.

٣. مد جسور التواصل البناء مع الجامعات والمعاهد التي تركز جهودها حول الاكتشافات الفلكية والمنجزات العلمية، ففي ذلك خدمة للدعوة بالتعرف على كل جديد ومتابعة كل حديث يساهم في نشرها بلغة العصر، بل فيه خير رد على الادعاءات الباطلة التي تصف العلم الإسلامي بالقصور والفتور والاقتصار على علوم الشرع، وفيه أيضاً عرض صحيح للرؤية الإسلامية المتكاملة التي تجمع بين علوم العقل والنقل، وترحب بالتواصل العلمي المظهر لحقيقة الدعوة والمبرهن على صدق خلودها.

٤. استقدام العلماء النابهين المتخصصين في العلوم التجريبية إلى الجامعات والكليات المعنية بالدراسات الشرعية واللغوية؛ لعرض وبيان العطاءات العلمية التي تزخر بها الآيات القرآنية؛ فهم أقدر الناس على

العرض بحكم تخصصهم وقدرتهم على البيان والعرض والرد، بل واستحداث أقسام متخصصة تعنى بدراسة العلوم الكونية في إطار استخدامها لخدمة الدعوة الإسلامية يقوم على أمرها المتخصصون من أهل تلك المعارف الكونية المتبحرون في دراستها، والقادرون على حسن عرضها وربطها بمناطها الدعوي.

٥. تسليط الضوء على الأبحاث العلمية التي تهتم بدراسة المعارف الكونية وتربطها بألوان الإعجاز القرآني– وخصوصاً اللغوي– فما زال هذا الميدان بكراً ليس في مجال البحث فقط، وإنما في مجال الجمع والتأليف والنشر.

٦. التأكيد على ضرورة الاعتماد على اللغة العربية عند تفسير الآيات الكونية واستجلاء معاني الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وقد ثبت من خلال البحث دقة ألفاظها، وعمق دلالاتها، وروعة تعبيراتها في بيان هذه الحقائق العلمية وتسجيلها بما يتوافق مع العقلية الإنسانية أيا كان زمانها، ولا يكذب الحقيقة العلمية عند ظهور تفاصيلها.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: السنة النبوية: سنن الإمام الترمذي، المؤلف: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩،٢٧٩هـ)، المحقق : بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر (١٩٩٨م).

ثالثاً: المراجع العامة:

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د: فريد الأنصاري، منشورات الفرقان –مطبعة النجاح الجديدة– ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٢. أطوار الخلق وحواس الإنسان(موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شئ" المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة)، المؤلف: أ.د/ أحمد شوقي إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة– ط١– ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٣. إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف د/ منصور حسب النبي، الناشر: دار الفكر العربي النشر والتوزيع– ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

٤. إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة– الطبعة الأولى– ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

٥. ارتياد الفضاء بين العلم والقرآن/ د: منصور محمد حسب النبي/ دار الفكر العربي–ط١– ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

٦. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر– ٢٠٠٢ م.

٧. الإسلام وقوانين الوجود، المؤلف: محمد جمال الدين الفندي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
٨. الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، المؤلف: د/ عمر سليمان قوش، دار الحرمين – الدوحة ط١– ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.
٩. آيات الله في الآفاق" موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: د/ محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي للطباعة النشر والتوزيع–دمشق – سوريا، ط٢، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.
١٠. بناء الكون ومصير الإنسان" نقض لنظرية الانفجار الكبير" حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية، المؤلف: د/ هشام طالب، الناشر: دار المعرفة– بيروت– لبنان– ط١، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
١٣. تفسير السمعاني، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن

عباس بن غنيم، ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٤. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٥. تكنولوجيا الفضاء الكوني والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المؤلف: د/عبد العليم عبد الرحمن خضر، الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع–جدة– المملكة العربية السعودية– ط١– ١٤١٣هـ= ١٩٩٣.

١٦. التوحيد، المؤلف: عبد المجيد عزيز الزنداني، الناشر:دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط١٠،١٤١٠،٢هـ=١٩٨٩م.

١٧. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١٨. الجواهر في تفسير القرآن الكريم" المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات"، المؤلف: الشيخ: طنطاوي جوهري، الناشر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، صفر ١٣٥١هـ.

١٩. الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم" سلسلة العلم والقرآن"، المؤلف: د/ عبدالعليم عبد الرحمن خضر، الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٢٠. القرآن الكريم والعلم الحديث، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، الناشر: الهئية المصرية للكتاب- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٩٩١م.
٢١. الله والكون، المؤلف: د/ جمال الدين الفندي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
٢٢. القرآن والعلم الحديث، المؤلف د: عبد الرزاق نوفل، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م
٢٣. العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٢٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٥. الكواكب والنجوم والمجرات، المؤلف: د: عبدالمنعم السيد عشري، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٣م.
٢٦. الكون طريقي إلى الله، المؤلف: عماد مجاهد، الناشر: دروب للنشر والتوزيع-عمّان-الأردن، بدون.

٢٧. الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً"، المؤلف: أحمد مدحت إسلام، الناشر: دار الفكر العربي بالقاهرة- ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢٨. الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، المؤلف: د/ محمد منصور حسب النبي، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة- مصر- د ط، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.
٢٩. خلق الكون بين العلم والإيمان،المؤلف: د/محمد باسل الطائي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى-١٤٨١هـ=١٩٩٨م.
٣٠. رحيق العلم والإيمان، المؤلف د:أحمد فؤاد باشا، الناشر: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٣١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت_ الطبعة: الأولى، ١٤١ هـ.
٣٢. ظواهر كونية بين العلم والإيمان" جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم "سلسلة الدراسات القرآنية"، المؤلف م/ عبد الدائم الكحيل، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٣٣. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٣٤. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى:

٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٣٥. للكون إله" قراءة في كتاب الله المنظور، المؤلف:د/صبري الدمرداش، الناشر: مكتبة المنار الإسلامية – الكويت– ط٢، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

٣٦. مجلة الاعجاز العلمي/ تصدرها رابطة العالم الاسلامي بمكة– العدد السادس محرم ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، (١٣/٨).

٣٧. من الإعجاز العلمي في القرآن في ضوء الدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية" الجزء الأول " مع آيات الله في السماء" نقلاً عن الموسوعة العلمية الحديثة، المؤلف: د/ حسن أبو العنين، الناشر: مكتبة العبيكان– الرياض– ط١– ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

٣٨. مع القرآن في الكون، المؤلف: د/ منصور حسب النبي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب– ١٩٩٢م.

٣٩. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة–١٤٢٠هـ.

٤٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون.

٤١. مقال بعنوان" تمدُّد الكون وقانون هابل"، الناشر: مجلة القافلة، مارس – أبريل ٢٠١٨.

٤٢. مقال بعنوان: القرآن والحقائق العلمية.. محطات من التناغم العجيب، الكاتب: د/ السيد حامد السيد، الناشر: مجلة فكر – مركز العبيكان للأبحاث والنشر، العدد ٦، بتاريخ: فبراير ٢٠١٦م.

٤٣. مقال بعنوان: من أسرار القرآن– الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)، الناشر: جريدة الأهرام المصرية، العدد الصادر بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠١.

٤٤. مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د: حلمي عبدالمنعم صابر، مكتبة الإيمان– ط٢– ١٤٣٥هـ– ٢٠١٣م.

٤٥. موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، المؤلف د/ نادية طيارة، الناشر: مكتبة الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع– أبو ظبي– الإمارات – ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

٤٦. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٤٧. موسوعة المكتشفين والمخترعين، د:موريش شربل، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت– ط١– ١٤١١هـ–١٩٩١م.

٤٨. هذا خلق الله، المؤلف: د/ جمال الدين الفندي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد: ٢٤– السنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

٤٩. هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، المؤلف: د/عبد العليم عبد الرحمن خضر، الناشر: تهامة- جدة – المملكة العربية السعودية- ط٢.